



# الوجة

في نظر الرسام الياباني هاكوساي



# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والتسعين

٢٩ شعبان سنة ١٣٥٩

أكتوبر سنة ١٩٤٠

## علم الطبيعة الجديد

رومرة المادة (١)

يحكم كل متبع لنشوء علم الطبيعة بأن مبادئه وقواعده نقيحت وعدلت منذ بدء القرن العشرين ، نتيجة لتجارب والاها العلماء منذ ثلاثين سنة الى الآن . فالطبيعي يحاول الآن تفسير نظام الكون وطبيعة الذرة والمادة والضوء وفقاً لصور جديدة تختلف اختلافاً أساسياً عن الصور التي كانت تسود علم الطبيعة في القرن التاسع عشر وبؤكد البرانس لوي ده برولي — الطبيعي الرياضي الفرنسي — ان الآراء التي بسطها ماكس بلانك الطبيعي الالماني في سنة ١٩٠٠ كانت من أهم الحدود الفاصلة في نشوء علم الطبيعة في هذا العصر

وقد أجهت مساعي العلماء الطبيعيين الى بحث المتناهي في الصغر والمتناهي في الكبر أي الذرات وما تتألف منه والشموس الكبار والمجرات . فعلماء الفلك الطبيعي تغفلوا ببحرهم في رحاب الكون القصية ، وعلماء الطبيعة الذرية تناولوا في تجاربهم أفلاك دقائق من المادة تستطيع ان تحشد عشرة ملايين منها في مدى ملليمتر واحد . وفي الحالين لا بد من اعتماد الباحثين على أجهزة علمية دقيقة يتعذر الحصول عليها واستعمالها إلا في المعاهد العلمية الكبيرة على الاكثر ،

(١) أنشأنا هذا الفصل على أثر مراجعة كتاب « الفيزيكا الحديثة : حاضرها ومستقبلها » تأليف الاستاذ احمد نهي ابو الخير وهو هدية المقتطف السنوية الى مشتركيه



لكثرة نفقها وعظم الجهد في اعدادها ، ودقة تدريب الباحثين على استعمالها ، وهذا يفسر البطء في ظهور النتائج التي أسفرت عنها التجارب التي جرت بها .  
 كان علم الطبيعة القديم قائماً على وجود العناصر التي لا تتحول وعلى ان ذرات كل عنصر منها متماثلة ولكنها تختلف عن ذرات العنصر الآخر . وان عدد انواع الذرات او العناصر اثنان وتسعون او نحو ، أي ان علم الطبيعة القديم عجز عن الوصول الى وحدة المادة .  
 أما علم الطبيعة الجديد فيأخذ بأن قوام المادة ذرات كل ذرة منها مؤلفة من جزئين أساسيين النواة وحولها الكهبرات ، وأبسط العناصر تركيباً هو عنصر الايدروجين فنواته بروتون واحد وحولها كهرب واحد ، وأن ذرات سائر العناصر لا تختلف نوعاً عن ذرة الايدروجين مع أنها تختلف شكلاً ومقداراً من حيث ما يدخل في تركيبها من بروتونات وكهبرات ، وعلى هذا الأساس تمكن العلماء المحدثون من تحويل العناصر بعضها الى بعض ، فعلم الطبيعة الجديد قائم حقاً على مبدأ وحدة المادة .

ولكن قواعد هذه الوحدة بحوطها شيء من الغموض . فقد كان الرأي الى عهد قريب ان جميع ذرات العناصر مؤلفة من بروتونات النواة وهي دقائق الكهربية الموجبة ، وكهبرات تدور حول النواة وهي دقائق الكهربية السالبة ، وان البروتون يفوق الكهرب نحو ٢٠٠٠ ضعف وزناً . وبدا ان الذرة أشبه ما تكون بنظام شمسي شمسه النواة وسياراته الكهبرات حولها . وان قوام المادة في الواقع ليس إلا دقائق مكهربة تنذبذب في الفضاء ، أي فضاء الذرة . وشبه العالم الفرنسي تيبو Thibault مدير معهد الطبيعة الذرية في جامعة ليون ، الذرة تشبيهاً للطيفاً يقرب صورتها من تصور الفارسي فقال : إذا تصورنا ذرة الايدروجين في حجم مدينة باريس كانت نواتها في حجم قوس النصر ، وكهربها في قدر كرة بلياردو في ميدان الكونكوردي وبقيت الذرة خالصة .

ولكن البحوث العويصة التي تمت في السنوات الأخيرة عقدت الموضوع بدلاً من ان تبسطه . فلك بأن الباحثين كشفوا جسيمات جديدة عدا البروتون والكهرب . فكشفوا أولاً دقيقة الكهربية الموجبة وتعرف باسم البوزيترون او الكهرب الموجب وهي مما يصعب الحصول عليه او سجنه في انبوب لأنها لا تكاد تتولد حتى تتحد بدقائق اخرى . وهي تماثل الكهرب ككتلة ولكنها تحالفه شحنة كهربية . فالكهرب سالب الكهربية . وهي موجبتها . واذن فالكهرب والبوزيترون صنوان ولذلك اقترح احدهم ان يدعى الاول نجاترون ( كهرب سالب ) والثاني بوزيترون ( كهرب موجب ) . وكشفوا كذلك التوترون ( المحايد ) وقد دعي كذلك لأن شحنته الكهربائية متعادلة . وهو تماثل البروتون او ذرة الايدروجين في كتلته ويدخل



أحياناً كثيرة في تركيب نوى الذرات وفي الآراء الأخيرة أنه عماد تركيب نوى الذرات . وبعد ذلك كشفوا ما يعرف باسم النوترينو ( اي المحايد الصغير ) وقد دعي كذلك لأنه متعادل الكهربائية كالنوترون ولكن كتلته أصغر كثيراً من كتلة النوترون فهي مثل كتلة الكهربي ولعلها أصغر . واخيراً كشفوا الميزوترون

فعلم الطبيعة الحديث لا يزال في مهده . ان فريقاً من العلماء يتصورون المادة دقائق مكهربة يحيط بها فراغ . فثبوته يسأل ألا يجوز تهشيم النوترون فينصل دقيقتين احدها موجبة الكهربائية والأخرى سالبتها وعندئذ يكون النوترينو مصاحباً لهذا التهشيم ؟ اما البرنس لوي ده برولي فأميل الى القول بانقسام البروتون الى نوترون والكهترون موجب ( بوزيترون ) . وعلى ذلك يكون قوام المادة بحسب رأي ده برولي نوترونات غير مكهربة وكهربات سالبة ( نجاترونات ) وكهربات موجبة ( بوزيترونات ) . فالنوترون لا كهربية فيه ولكن كتلته كبيرة والآخراں كتلتهما يسيرة جداً ولكنهما مكهربان . فعلم الطبيعة الجديد مبني على فكرة وحدة المادة

\*\*\*

ويختلف علم الطبيعة الجديد عن علم الطبيعة القديم من وجود أخرى . فالميكانيكا القديمة كان لها مبادئها ومنها أنه لا توجد سرعة أعظم من سرعة الضوء ولا حرارة أقل من حرارة ( اوبرد ) الصفر المطلق . وان المادة لا تتلاشى

وما لا ريب فيه ان علم الطبيعة الجديد لا يعترف بصحة المبدأ الأخير ، وجميع الطبيعيين يسمون بإمكان تلاشي المادة الآن ، ففي إحدى التجارب الحديثة ثبت ان أزواجاً من الكهربات الموجبة والسالبة تتلاشى فتتولد ضوئيات ( فوتونات وهي ذرات الضوء إذا صح القول بأن للضوء ذرات على اعتبار ان الذرة شيء مادي . وهذه الملاحظة تفصيل في آخر المقال ) . وفي الجهة المقابلة تولدت أزواج من الكهربات الموجبة والسالبة من الضوئيات ( تقرير المعهد السمثسوني سنة ١٩٣٨ صفحة ١٣١ ) . فالعمل الأول تحويل المادة الى طاقة والعمل الثاني تحويل الطاقة الى مادة ( إذا صح ان نعتبر الكهربات دقائق مادية والضوئيات حزم اشعاع لا دقائق مادية ) ولذلك يقول أينشتين إنه علينا أن نحل محل مبدئي « حفظ المادة » و « حفظ الطاقة » « مبدأ التعادل » مستبقيين مبدأ يقول بـ « حفظ شيء ما » ولكنه مبدأ يسمح بتحول المادة الى طاقة والطاقة الى مادة . ولنضرب مثلاً على هذه الصورة الجديدة في علم الطبيعة الحديث إن ذرة الهليوم مؤلفة من أربع ذرات لايدروجين ، ولكن كتلة ذرة الهليوم أقل من مجموع كتل ذرات الایدروجين الأربع ، فإن ذهب الفرق ؟ هذا الفرق ، هذا القدر اليسير من الكتلة تحول طاقة منطلقة عندما اندمجت الذرات الأربع بعضها في بعض لا نشاء ذرة واحدة جديدة . وتقدر الطاقة التي تولدت بتحول هذا المقدار من المادة بنحو ٢٧ مليون ثولط



تفسار المادة بعلاماتها يعوضها تولد الطاقة وهذا هو مبدأ التعادل equivalence ويرى فريق كبير من العلماء أن تلاشي المادة على الوجه المتقدم في الشمس يجهزها بالطاقة العظيمة التي تجعلها مشرقة . وعلى كل حال ففي وسعنا ان نتصور تحول ذرات الشمس الى اشعاع كما تتحول ذرات العناصر المشعة الى اشعاع ، وكذلك تحول الطاقة المشعة الى مادة كما تحولت الطاقة الى كهربات موجبة وسالبة في التجربة التي تقدم ذكرها . ومع ذلك تبقى أماننا صعوبة كبيرة وهي أننا لا نعلم علماً وثيقاً ما هي الضوئيات (الفوتونات) أي ما هو الضوء من نحو عشر سنوات ابتدع البرنس لوي ده برولي مذهب الميكانيكيات الموجية . وطبقه أولاً على الضوء ثم على جميع أشكال الطاقة وفاز بجائزة نوبل الطبيعية كان نيوتن يقول ان الضوء دقائق . وقال هوجنس وأيده فرينل وينع أنه أمواج في وسط دعوه الاثير . ولكن علماء الطبيعة المحدثين يشكون في وجود الاثير ، فجاء ده برولي وجمع بين المذهبين فقال ان هناك انطلاق ذرات وحركة موجية في آن واحد ، وجاء مشرقة فقال أن الفرق بين الضوء والمادة فرق سرعة . وقال ده برولي إنه من الضروري ان تربط بين فكرة الموجة وحركة الدقائق المادية الذرية . وحركة الدقائق مرتبطة بظاهرة دورية رتيبة ندعوها موجة ويذهب علماء الطبيعة الى ان هذه القاعدة العامة في فهم الضوء والمادة بحسب قواعد الميكانيكيات الموجية تفسر جميع التجارب التي عجز علم الطبيعة القديم عن تفسيرها ولكنها تحمل جوانب من علم الطبيعة الحديث مكتشفة بالابهام . ففي مذكرة علمية كتبها الدوق موريس ده برولي بمعاونة شقيقه البرنس ده برولي جاء مما يلي : — ان الفوتون (الضوي) دقيقة من الضوء لا يزال طبيعتها سرّاً من الأسرار ، والميكانيكيات الموجية تربط بفكرة الحركة «موجة» لا وجود طبيعي لها ولكن يمكن التنبؤ الرياضي بها «

\*\*\*

ثم علينا ان نضيف مبدعاً ثالثاً الى مبدأي وحدة المادة وقابلية التحول من المادة الى الطاقة ومن الطاقة الى المادة وهو ان للمادة والضوء ناحيتين ناحية ذرية Corpuscular وناحية موجية wave وهذا يفضي بنا الى نظرية وحدة المادة والضوء . والبرنس ده برولي يرى أن هذه الوحدة تحقق عن طريق نظرية النوترينو (الحايد الصغير) وهو دقيقة صغيرة كالكهرب أو أصغر منه وشحنها الكهربائية صغيرة جداً أو تكاد تكون صفراً بالقياس الى شحنة الكهرب . وعند البرنس ده برولي أن النوترينو قد يكون أحد جزئي الضوي . أما الجزء الآخر فدقيقة أخرى . وهو يدعو النوترينو « نصف الضوي » demiphoton . ولكن اذا كان للنوترينو قواماً مادياً فيصبح الضوي دقيقة مادية لا مجرد دقيقة من شيء غير مادي هو الضوء



ولعل رأي مشرق الفائل بأن الفرق بين المادة والضوء إنما هو فرق سرعة يوفق بين الاثنين وجميعهما في صعيد واحد . على أن هذه الاعتبارات تدلنا على صحة ما قلناه من أن نواحي من علم الطبيعة الحديث لا تزال محوطة بالحفاء والغموض . ففي ناحية منه نخرج بأن الحقيقة المادية كما كانت معروفة لعلماء الطبيعة في القرن التاسع عشر قد اضمحلت وحلت محلها صورة مادة ذرية القوام تتصف بصفات التحول المتبادل بين خواص المادة والطاقة . فكأنها تقود الى نوع من «التوحيد المادي» تستقر خارجه أسرار الحياة والعقل

وبالاختصار ان علم الطبيعة الحديث يأخذ بمبادئ وصور تقضي على حتمية الميكانيكيات القديمة ومبدأ الاتصال ( Continuity ) . هذه المبادئ والصور تقول لنا بأن الطبيعة الذرية الجديدة تشير الى حقيقة غير متصلة تقع فيها تحولات فجائية ليس في الوسع تفسيرها إلا بعملية مركبة من حركة موجية وحركة ذرية مشتركين معاً . والبرنس ده برولي يرى أن نشر نظرية بلانك في «المقدار» ( Quantum ) في سنة ١٩٠٠ هو أصل الانقلاب في علم الطبيعة الحديث . فلنلق نظرة عجيلى في مذهبه

أن «المقادير» Quantar في نظر بلانك مردها الى أن اشعاع الذرات ليس اشعاعاً متصلاً . فكان الطاقة تتجمع ونحترق في ذرة حتى اذا بلغت قدراً معيناً انطلقت اشعاعاً . فانطلاق الاشعاع من ذرة مشعة ليس انطلاقاً متصلاً وإنما هو انطلاق مقادير كثيرة متلاحقة بسرعة بينها فترات مهما تكن قصيرة من الزمن . وقد جربت تجارب متعددة منذ ما أذاع بلانك نظريته فأيدت قوله من الأقوال المشهورة المسندة الى الفيلسوف لينتز أن الطبيعة لا تحب القفز . كقولهم أن الطبيعة تكره الفراغ . أما وقد أصبحت الذرات قوام نظرتنا الى الطبيعة فليس في الطبيعة إلا القفز . وعلم الطبيعة الذرية يقصر عمله على كشف النواميس المسيطرة على هذا القفز . ورجاله يبحثون عن قيمة «مقدار» الطاقة . ويحاولون أن يستخرجوا قواعد الاحتمال التي تحكم انتقال نظام ذري من حالة الى أخرى في مدة معينة . أي إنهم يحاولون أن يستخرجوا قواعد الاحتمال التي تمكنهم من معرفة الحالة التي يكون عليها نظام ذري ما بعد انقضاء مدة معينة . وكل ما يستطيعونه هو معرفة الاحتمال . أي أنهم لا يستطيعون أن يحكموا حتماً بأن حالة هذا النظام الذري ستكون كذا أو كيت بعد انقضاء مدة معينة . أي أنه من المتعذر عليهم أن يتنبأوا بالدقة أو يعرفوا حتماً مستقبل حركة ذرة أو جزء من ذرة . فعدم التثبت في علم الطبيعة الذرية حل محل

مبدأ الحتم . وهذا هو مبدأ هيزنبرج Heisenberg's uncertainty principle

فكان مبدأ الحتم الذي قامت عليه ميكانيكات نيوتن وديكارت هدم من أساسه من حيث المبدأ . نعم أن مبدأ عدم التثبت يشمل كل الكون . ولكن القواعد العلمية التي كشفها علماء القرن



التاسع عشر وبنوا عليها لا تزال قائمة لأنها بحسب النظرة الحديثة قائمة على احتمالات كبيرة فهي تصح في أكثر الاحوال والاحوال التي لا تصح فيها نادرة جداً لا يجوز إهمالها في حسابنا العملي . وكل ما تقوله النظرة الحديثة أنه لا يجوز القول أنها صحيحة إطلاقاً وحتماً في جميع الحالات بغير استثناء ان مبدأ عدم الثبوت نتيجة القول بطبيعة المادة والطاقة الذرية . فالذرية (أي الانفصال في بناء المادة والطاقة) وعدم الثبوت ركنان أساسيان من أركان علم الطبيعة الحديثة

\*\*\*

في دراسة التركيب الذري يتعين على علماء الطبيعة الحديثة والفلك الطبيعي astrophysics ان يستعينوا بالتخيل . فالتخيل رائد التجريب . وبعد التجريب والامتحان يأتي دور التفسير والتركيب synthesis . ولكن الحذر يجب ان يكون رائد هم في جميع هذه المراحل . وتاريخ العلم حافل باشلاء التفسيرات العلمية المنبوذة

والافكار الجديدة في العلم لا يمكن قبولها إلا بعد توافر الأدلة القاطعة المستخرجة من التجارب المعادة . ثم يجب ان نكون على أشد الحذر في التفریق بين نتائج التجارب وتفسير تلك النتائج ولنضرب مثلاً على ذلك منتزعا من علم الفلك الطبيعي . فقد تعودنا الآن ان ننظر الى المجرات التي خارج مجرتنا او السديم اللولبية على انها اشبه ما يكون بجزائر ضخمة في بحار الفضاء وهذا القول مبني على مباحث العلامة هبل Hubble الاميركي منذ سنة ١٩٢٥ الى الآن

وقد قيس سرعة طائفة غير يسيرة من هذه المجرات ويؤخذ من دراسة هذه السرعات ان المجرات الخارجية تبعد عنا وبعضها عن بعض بسرعة عظيمة ، تبلغ أحيانا سُبُع سرعة الضوء وفي سنة ١٩٢٩ استخرج هبل قانوناً مؤداه ان زيادة سرعة ابتعاد المجرات موافقة لبعدها فكلما زاد بعد مجرة مليون سنة ضوئية زادت سرعة ابتعادها ١٧٠ كيلو متراً في الثانية . وهذه النتيجة هي التي أفضت بعلماء الفلك والطبيعة على السواء الى القول بأن «الكون آخذ في الاتساع» Expanding Universe وأنه ضاعف قطره خلال ألفي مليون سنة . ولكن اذا بلغت سرعة المجرات النائية سرعة الضوء تعذر على أي كان ان يراها لأن أشعة الضوء المنطلقة منها لا يمكن ان تصل الأرض ، وهذا يعني ان الكون يصبح وهو لا قرار له

هذا التفسير قائم بحكم الطبع على مبدأ طبيعي وهو حيود الخط الأحمر في طيفو المجرات التي خصها هبل وأعوانه في مرصد جبل ولسن . ولكن من يدري ان القدر لا يأتينا بتفسير آخر لهذا الحيود ؟ ان دراسة الطيوف محوطة بكثير من التحفظات التي تحملنا على الحذر في قبول التفسير الذي ذهب اليه هبل قبولاً مطلقاً . وعلاوة على ما تقدم أن هبل يفرض أن النوايس التي تحكم مجرتنا سارية على مجرات قصية يلوح أن لا صلة بينها وبين مجرتنا على الاطلاق



ثم هناك نظرية أخرى يقول بها علماء الفلك الطبيعي محاولين ازالة التناقض بين القول بالمتناهي واللامتناهي ، وهي ما يعرف بلفظي « الكون المنكور » . فالتكوير في نظرهم ناموس أساسي من نواميس الطبيعة . هو ذا الكون يشبه كرة ضخمة او فقاعة كبيرة . وجميع أصناف الاشعاع تتبع في سيرها خطوطاً منحنية . وعلى ذلك فالضوء الواصل الينا من نجم ما يصل الى الأرض من ناحيتين الأولى مباشرة في خط منحن . والثاني في خط دائرة كاملة بعدما يحوب أفاق الكون . وهذا قول يجب ان يمتحن قبل ان نأخذ به . اي يجب ان ننظر البرهان التجريبي على ان انتقال الاشعاع او الطاقة او الضوء لا يسير في خط مستقيم بل في مسار منحن ( تقرير المهد السمنصوني ١٩٣٨ صفحة ١٧٥ ) . ولكن يجوز لنا بغير ان نجمع مع التخييل الوثاب ان نقول بان بحوث وتجارب الثلاثين السنة الأخيرة حملت علماء الطبيعة على تنقيح نظراتهم الأصلية الى العالم والضوء والمادة والطاقة اي الى الكون

ولد العلم الحديث من الفلسفة حوالي منتصف القرن السادس عشر . ولد ثائراً على أمة فانقلب على أساليها القائمة على التأمل والاستنتاج من مسلمات فلسفية سابقة متخذاً له أعواناً من المشاهدة والاستقراء والتجربة وأسلحة من المرقب والمجهر والمطياف وغيرها وكان أئمة هذه الثورة على الفلسفة تيخو براهي وكبلر وكوبرنيكس وغليليو — وخاصة هذا الأخير الذي استنبط المرقب واستعمله . وسار زعماء العلم من نصر الى نصر يكشفون عن أسرار الطبيعة ويتنبئون بحوادث الفلك تنبؤاً دقيقاً بمد ما استخرج نيوتن نوااميس حركات الأجرام الى أن كان القرن التاسع عشر فاذا الكون في نظرهم آلة مبنية من ذرات المادة المتحركة تجري بحسب نوااميس ميكانيكية دقيقة واذا المادة لا تتلاشى في عرفهم والضوء أمواج تسير في خطوط مستقيمة في وسط سموه الأثير ثم كشف عن أشعة رنتجن وعن الراديو وعن الكهرباء على أيدي رنتجن وكوري وطمسن وأعوانهم فكان ذلك فاتحة عهد جديد في العلم الطبيعي وتلاهم بلانك بمذهب الكونتم ( الكم أو المقدار ) واينشتين بمذهب النسبية وده برولي وهيزنبرج وأندادها بمذهب جديد لبناء الالكترون والبروتون . واذا نحن نجد في كل هذه المباحث ان المادة تكسب وزناً اذا تحركت بسرعة عظيمة ، وتلاشى ، فتتحول الى طاقة ، وان للضوء ضغطاً وهو ينجذب كأنه شيء مادي . ثم ان الضوء ليس أمواجاً في الأثير بل مقادير من الطاقة ولا حاجة بها الى الأثير ، وان أجزاء المادة النهائية تتصرف كامواج وان المعرفة اليقينية في القرن التاسع عشر صارت معرفة نسبية في سنة ١٩٤٠ وان عالماً مؤلفاً من ثلاثة أبعاد لا يكفي لجميع هذه الظواهر بل نحتاج الى عالم ذي أبعاد لا تحصى وان الفرق بين الطاقة والمادة انما هو فرق في سرعة كل منهما . في هذه الاعتبارات نجد مكاناً رحباً للعقل الفلسفي يسعى الى توحيدها في نظام شامل . والرجاء معلق باتحاد الفلسفة والعلم في الوصول الى هذا الغرض



# الافكار سر الحضارة

والقنابل لا تدمرها

الا اذا رضي الشعب تقييد الفكر

على الرغم من توالي الحوادث الكبار وانماها، وانشغال الفكر بتبنيها وتقصي مغازيها يطيب لكانب هذه السطور عندما يستطيع، أن يخلو الى نفسه قليلاً في هدأة الليل على الغالب، أو قبيل انبثاق الفجر للتأمل في أشياء قائمة من وراء الحوادث، راسية كالصخرة الصماء تقبل عليها الأمواج وتغمرها ثم تنكسر عليها وتنحسر عنها فتبدو الصخرة راسية راسخة. والحوادث الخطيرة المتعاقبة المترجرجة في تعاقبها كالزئيق بالقياس اليها ليست الا كأمواج البحر بالقياس الى الصخرة الراسية تغمرها الحوادث فتغيب عن النظر أحياناً ولكن يهمننا ألا تغيب عن الذهن لأنها الأصل والحوادث انما هي الفروع في ثنايا العصور الطوال التي اجتازتها الحضارة في تقدمها سار فنان أساسيان من فنونها جنباً الى جنب: فن الحضارة وفن القتال. ولعلنا نجد في التاريخ أمة جاءت عليها فترة من الطائفة والسلام بغير حرب أو قتال تتجاوز ثلاثة قرون. ولعل تفسير هذه الحقيقة مستقر في أن الانسان مسالم ومحارب في وقت واحد. ففيه غريزة الحرب وغريزة الحياة الهادئة والعيش المطمئن ممتزجتان متلازمتان

وليس القصد من هذا القول أن نعزو الى الانسان حالة من النقص تستكمل بنيد الحرب. فلا يندر بين الفلاسفة من يظنون ان الحياة التي انتفت منها غريزة الحرب غير جديدة بالصيانة ويذهبون الى القول بأن القتال يجب أن يلزم الحياة لئلا يضعف عصب السلالة وعضلها وتصاب قدرتها على النضال بالأحطاط. وهو ما يقع في بضعة أجيال في أسرة سادها الترف. وقد بظن أن الغرض من سوق هذه الاعتبار الفلسفية والاجتماعية هو تسويغ الايمان بالحرب ووجوبها، بحجارة لقول من قال: إن الحرب حقيقة واقعة والسلام رغبة. وانه لا بد من الحروب ما زال هناك ارتقاء انساني. لأن النزعة السلمية تعني التسليم بادارة شئون العالم للذين لا ينزعون الى السلام. ولا بد أن يبقى السلام مثلاً أعلى والحرب حقيقة واقعة. وهو قول الفيلسوف اوشفالد شينغلر الالماني. ليس هذا غرضنا مهما يكن رأينا فيه وانما القصد الاشارة الى تراثنا البيولوجي المستقر في تركيبنا العضوي. ففي عالم الطبيعة نجد غريزة الحرب وغريزة الحياة وجهين لشيء واحد. والفرائز البيولوجية أشد تأصلاً من طرائق التفكير وفلسفات السياسة والاجتماع. ففي



عالم الطبيعة نجد النضال العنيف جنباً الى جنب مع أبلغ مظاهر الحب الأبوي والرأفة والعطف والمغازلة في شتى أنواع الحيوان . وأنه لمن بواعث الألم والحيرة لكل محب للطبيعة أن يرقد في ظل شجرة في غابة يحسبها واحدة من السلام، ثم يسمع صوتاً أو تغريداً فيعلم أن أحد الطير عاد الى وكنته بعد أن قتل طيراً آخرأ أو اصطاد دودة حقيرة . ولكنه في الوقت نفسه يتعزى عن ألمه هذا بأن غريزة الحياة في الطبيعة أبداً تتغلب على غريزة القتال فلا تصيب الأرض ماصة محتاجة تهصر الأغصان وتبدي الزرع حتى يجيء الربيع التالي فاذا الأشجار تخرج أغصاناً جديدة تحمل الأزهار والأثمار واذا الأرض تطلع نباتاً ما أغضه

وها هي ذي أوربا ميدان لأعصار محتاح من القوى الانسانية المتطاحنة . وكل متابع لسياسات الدول كان مقتنعاً بعد عقد اتفاق ميونيخ في آخر سبتمبر سنة ١٩٣٨ بأن السلام في أوربا أقرب الى الحرب بل أن هناك من الشعوب الاوربية كبريطانيا وفرنسا من كان يحسب ذلك السلام أضرباً وأشد أذى من الحرب نفسها . ومما زاد في اضطراب الأفكار وبلبلتها أن مريدي الحرب كانوا يتظاهرون بحب السلام وكان المعتدون يصفون ضحاياهم بانهم . مضمون نار الصراع . كذلك مدّ الأهر هتلر يده بعد ما عاد من تمزيق اوصال بولونيا الى أمم اوربا وقال في دعة انه لا يرى سبباً لنشوب حرب او لاستمرارها . وعلى هذا قالت اليابان بعد حرب مع الصين دامت ثلاث سنوات — بدأت حملتها البوليسية التأديبية على الصين في ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ — وقتل فيها الملايين من الناس ودمرت الاملاك وعطلت التجارات — ان الغرض انشاء نظام جديد في شرق آسيا ما معنى كل هذا ؟ هل قدعت غريزة الحياة السالمة في الانسان ؟ هل طغت عليها ودمرتها غريزة الحرب ؟ وهل تدمر الحضارة نفسها اي الفنون والدين وفتوحات العلم الحديث وفنون الحياة جميعاً من رياضة وممتعة بالفن والأدب وغيرها . لا بد من التسليم بان ذلك الجانب من حضارتنا الممثل في المدن الفنية والآثار الفاخرة والقصور والمساجد التي تتجلى فيها روائع النقش معرض للدمار . وليس في النصف الغربي من اوربا من الشمال الى الجنوب منطقة لا نجد فيها مقراً حافلاً بآيات العبقرية الفنية . وتلقت فنى ايكاس الرمل تصفف فيها وحواليها لصونها من الانهيار فنقول وما نقى الاكياس في منع القباب الفخمة والمسلات اللدنة والتماثيل والنقوش الفاخرة ، والفذة في كثير من الأحيان ، اذا أصابتها قبلة واحدة في الصميم

ولسكننا اذا تذكرنا أن غريزة الحرب هي ناحية اخرى من غريزة الحياة وان الرجل الذاهب الى ميدان القتال لا يعني بذهابه انه تحلى عن الرغبة في الحياة وانه انما يريد عن وعي او غير وعي، لغريزة الحياة مجالاً أوسع، فقد نقنع بأن غريزة الحياة أقوى من غريزة القتال . واذاً فانها لا تقدح الا ربما تنبعث ثانية خالقة مبدعة اي انها لا تدمر . واذاً فالحضارة في صميمها — وهي جماع فنون الحياة لا مظاهرها — لا يمكن ان تدمر . اي انه اذا دمرت



المباني الضخمة وحرقت الآثار الفاخرة وتأخرت العلوم وانطفأ مصباحها في اما كن كان يتألق فيها ، فسيدى الدجاج يبيض والطاهي يصنع العجة اللذيذة منه . وسيدى صوف النعم فتحاك منه المنسوجات الصوفية . وستبقى بقض خزان الكتب فيها آثار العبريين . وستبقى ولو في زاوية واحدة من زوايا الأرض أقراص الجراموفون وعليها ألحان الموسيقيين . وما زالت الامة لم تحقق عن بكرة أبيها فلاريب في ان الباقي منها سيمضون في فنون الحياة واستطلاع المجهول ولو تعطلت بعض نواحيها وشتت . ولا بد للحياة بعد الحرب كالأرض بعد الأعصار من ان تنقاد للقوى المبدعة المستقرة في تكوينها فتبني ما هدم وتبعث ما باد . وهذا يعني ان العنف لا يفيد احداً شيئاً . فالعنف مهما تبلغ آثاره المدمرة لن يقضي على أسلوب البحث العلمي في اوربا ولا على حكمة كنفوشوس في الصين اتنا لا نخسر الا المظاهر اذا نحن لم نخسر الانسان نفسه او نفس الانسان . ويقول الفيلسوف الصيني لن يوتانغ — وعليه اعتمدت في بعض هذه التوجيهات — ان الصين بليت في عهد من عهودها بحاكم طاغية وهوانبي سور الصين الكبير ، فأحرق من كتب كنفوشوس ما شاء له بفيه واضطهد من اتباعه ما صور له طغيانه . ولكن حكمة كنفوشوس والثقافة القائمة عليها لا تزال حية في نفوس الصينيين ترشدهم وتوجه حياتهم . وقال ايليا أبو ماضي في الشعراء بعد ما وصف كيف قتل الطاغية شاعراً لانه لم يمثل له

والشاعر المسكين باقية اقواله فكأنها الأبد

الشيخ يأس في جوانبها صور الهوى والحكمة الولد

وهذا يفضي بنا الى ناحية خفية غير مادية من غريزة الحياة ومصير الحضارة . هو ان الحضارة الحديثة لا تدمر ولا تنهار إلا اذا دمرت أصولها وفني لبها . وما هو هذا اللباب ؟ حرية العقيدة وحرية الفرد التي تقيم أود الكرامة الانسانية . ثم الديمقراطية من حيث هي وجهة نظر في الحياة ومثل أعلى يتطلع اليه الانسان لامن حيث هي نظم للحكم فقط قد بداخلها الفساد فتنفسد . وقد اطلعت وانا اكتب هذه الكلمات في الصباح على ملخص خطبة للرئيس روزفلت أوضح فيها الحريات الاساسية الخمس التي لا بد منها في رأيه للسلام والحضارة وهي الحرية من الخوف . وحرية المعرفة . وحرية العقيدة . وحرية الرأي . وحرية الكفاية او التحرر من ضغط الحاجة وبؤس الفاقة . وليس ثمة ريب ان الحكومات القائمة على الاستبداد تدمر هذه الاصول وتفني هذا اللباب ولو لم تخض حرباً فتناكة وتزع هذه النعم إذ تقيم الناس حتى ذوي القرنين جواسيس بعضهم على بعض وتك أفواههم وتقدم عقولهم وتقيدها

منذ سنوات عني أحد المؤلفين الكبار بجمع فصول من كبار المنشئين في نواح مختلفة من الدكتاتورية فنكتب فيه المستر تشرشل مقدمته والمؤرخ فييرو عن الدكتاتورية في روما القديمة وأندريه موروي عن الدكتاتورية ومشكلة الرجل العظيم ونحو عشرين آخرين من شتى الامم في



شئى نواحي الدكتاتورية . والفصول متفاوتة طولاً من خمس صفحات الى عشرين أو ثلاثين . وطلب مصنف الكتاب الى العالم العلامة أينشتين كتابة فصل في « الدكتاتورية والعلم » فكان فصله عبارة واحدة فقال : — « ان الدكتاتورية تعني النكيم من كل ناحية وهذا يعني منع النمو . اما العلم فلا يزدهر إلا في جو من حرية البحث والرأي » . وإذن فالدكتاتوريات تستطيع ان تدمر أصول الحضارة ولولم تخض حرباً . أما الأمم التي لا تخضع نفوسها وتأتي ان تفرغ عقولها في هذا القالب الضيق كأقدام الصينيات فحضرتها لا يمكن ان تدمر ولودمرت الحرب مغانيها . فالخطر الذي تتعرض له الحضارة هو خطر الزول عن هذه المبادئ ومنحها السلطان المطلق للدولة فيغدو الفرد المستبد به سنّاً في عجلة في آلة ضخمة . وفي غير ناحية واحدة من نواحي الحياة الحديثة بعدنا البعد كله عن معنى الحضارة الأصيل . قيل للانسان يجب ان يعمل فعمل ثم قيل له يجب ان محارب لتصون حقلك في العمل . ثم جاء من يقول له ان المدافع يجب أن تقدم على الزبدة . وان الموت وأنت لا لبس حذاءك العسكري أنبل وأشرف من الموت في سربك وقد نزع حذاؤك العسكري . فنحن نعود الى الطبيعة الأولى بغير ان تكون لنا حرياتها الأولى فنخسر من الناحيتين

ان ما أحدثته الحرب من التدمير يبعث على انقطار قلوب من تتبعوا سير الانسان على هذه الأرض وما بذل من عقله وعرقه وكيف اضطهد وعذب لينشئ ما أنشأ . ولكن هذا التدمير وحده لا يهدد صميم الحضارة بقدر ما تهددها النظرة المتغيرة في القيم الاخلاقية والنظم السياسية الأساسية . ان هذه النظم تطفئ على حريات الانسان وامتيازاته الطبيعية فتخضعها لفرزة القتل القومي . ومنزلة غريزة القتل غدت متفوقة على منزلة غريزة الحياة في نظر طاغفة من الدول

وليس ثمة ريب في أنه إذا سلمنا بأن هدف الدولة هو التنظيم لأجل الحرب والفتح فالدولة المستبدة آثم وأكفأ . ولكن اذا سلمنا بأن هدف الفرد وتمدنه بنعم الحضارة هو هدف الدولة ، فليس في كفة الدولة المستبدة قول واحد يرجحها في ميزان العمران . ونخطيء من يظن ان الآلة والحرب يدمران الحضارة الحديثة بقدر ما يدمرها الميل الى التخلي عن حقوق الافراد الاصلية في وسع الحضارة ان تزهر بمض الازهار وأن تثمر بعض الاثمار في أحضان الفاقة والخطر والحراب اذا كانت عقول الناس حرة ونفوسهم غير مكبلة بالأصفاد . ولكنها تذوي وتموت ولو كانت راتعة في مجبوحة من العيش والرخاء اذا كان العقل مكبوتاً والروح مقيدة . ان غريزة الحياة أساس حيوية الحضارة وسبقي أبداً مولدة سائرة الى الأمام ولا بد لها في حينها الموقوت من ان تستأنف السير في طريق العلم والفن والأدب نحو آفاق جديدة . ولكن هذه القدرة الكامنة فيها تلقي على كل إنسان حر مهمة عظيمة وهي مهمة تبيّن الخطر الذي يهدد غريزة الحياة سواء أكنّا في غمار حرب أم لم نكن وبذل كل نفيس لدفعه



# من أنت ؟

(١) شارل مالك

استاذ بدائرة الفلسفة بجامعة بيروت الاميركية

كل شيء في حياتنا يتوقف في النهاية على تصورنا لأنفسنا ، فان شرحت لي كيف تنظر الى نفسك ، استطعتُ أن أعين لك جميع خطوط حياتك تعيناً وافياً . ولذلك فان أحبتُ أن أزعم اليوم أمامكم ان الانسان صانع نفسه ، فانما أعني بهذا أن جميع مظاهر حياته ، من سلوك وتفكير وعاطفة ، انما تتحدد في النهاية من فكرته عن نفسه

وتتصارع اليوم في البلاد العربية — أعني في عقلي وعقلكم — نظرات مختلفة الى طبيعة الانسان ، نحاول كل واحدة منها أن تتشعب في متضمناتها الى ان تحيط بكامل الحياة . ومرادي أن أتناول بعضاً من هذه النظرات بالشرح والتحليل محاولاً أن أخلص منها جميعاً الى نظرة هي ، في رأيي ونظري ، النظرة الصائبة عن طبيعة الانسان ، أعني طبعي أنا ، وطبيعة كل واحد منكم فرداً فرداً

وان يسمح لي مجال الحديث ولا مناسبتة بأن أتعلم في هذا البحث الأساسي ، لأن إيفاء هذا الموضوع حقّه يقتضي مني بعد كل نظرة أن أنقدها على ضوء النظرة الأخيرة التي أخذتها ، حتى تظهر للعيان اخطاء جميع النظرات التي تقصر عن الحقيقة الكاملة كما هي . وعملية النقد هذه تستغرق وقتاً وفراغاً ليسا مع الأسف في متناول حربي . لذلك سأقتصر في هذا الخطاب على عرض النظرات عرضاً موضوعياً ، مكثفياً بمجرد التلميح هنا وهناك خلال البحث الى الخطوط النقدية الاساسية التي لو كان لديّ متسع من الوقت ، لرسمتها بأوفى ما أستطيع من الدقة والضبط ، مرجئاً هذا الرسم الى فرصة كتابية أو خطابية أخرى

## النظرة العضوية

أما النظرة الأولى فهي ما أطلق عليها عبارة « النظرة العضوية » . هذه النظرة تعتبر الانسان في المرتبة الأولى حيواناً ، مؤكدة على وظائف أعضاء جسمه في تعيين كيانه . فان «فكر» اصحابها بالفكر مثلاً فلا يحضرون إلا خليات الدماغ تتفاعل بعضها مع بعض تفاعلاً كيميائياً



— كهر بائياً ، وإن « فكروا » بالمظاهر الروحية ، كالعلم والفن والفلسفة والدين ، فلا يرون في هذه إلا أدوات لارضاء شهوات الانسان الجسدية . فلا انسان بحسب هذه النظرة ، هو حيوان مركب لا يوجد إلا لتحقيق اطماع جسده . فهو انما يفكر ويعمل ويخطط الخطة لكي يوفر آخر الأمر الوسائل التي تمكنه من سد حاجاته الحيوانية ، فنحن نعيش لكي نشبع معدنا طعاماً ، ونكفي غرائزنا استمتاعاً . وبما أن الجسد هو هكذا محور كياننا ، وجب علينا بذل قصارى جهدنا اعتناء به وحفاظته عليه . ولذلك تبرز القيم الجسدية بروزاً واضحاً في التقديرات النهائية لهذه النظرة . أما تلاميذ هذه الفلسفة فهم كل من اتخذ الجسد المعيار الأول في الأحكام الأخيرة ، كبعض الأطباء مثلاً وبعض البيولوجيين والفسولوجيين والسلوكيين ، وكذلك كل انسان يعتمد في النهاية على القوالب العضوية في تفكيره عن نفسه . ولذلك اذا نحن سألنا أحد القائلين بهذه الفلسفة العضوية : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على ان يضع نظراته النهائية الى نفسه في قالب كلامي مسؤول ، أجابنا على الشكل الآتي : — « أنا آلة عضوية مرهفة الدقة معقدة التركيب تتفاعل بطريقة دائمة مع محيطها الخارجي والداخلي . لي زخات وغرائز طبيعية — حيوانية يجب ارضاؤها . أما الغاية القصوى من حياتي والمعنى الأخير لوجودي فهو اللذة الجسدية الناجمة عن اشباع هذه الغرائز . ولذلك يجب أن أحشد جميع قواي لكي أستمتع في حياتي بأكبر قسط ممكن من شهوات جسدي ، وإلا راحت حياتي عبثاً باطلاً . فإنا أنا بقدر ما أكون حيواناً »

### النظرة التاريخية

هذا هو التصوير العام للنظرة العضوية الى الانسان . والنظرة الثانية التي أريد عرضها هي « النظرة التاريخية » ، أعني تلك الفلسفة التي تعين كيان الانسان بواسطة القوالب التعليلية التاريخية . تزعم هذه النظرة انها تفهم الانسان فهماً كاملاً على ضوء التاريخ ، أي باعتبار « العوامل » و « التيارات » و « المجاري » و « الأسباب » و « المؤثرات » و « الظروف » التي انتهت الى خلق الانسان . فهي لذلك لا تكتفي بتعليل الحوادث والأشياء غير الانسانية لتعليلاً تاريخياً — سببياً ، بل تطبق هذا التعليل على الانسان ذاته ، ذاهبة إلى أن الانسان في محض كيان الانسان ، وليد العوامل والتيارات التاريخية . وأنا بهذا التحديد العام للنظرة التاريخية أجعلها تشمل النظرات التطورية على العموم ، أي جميع المذاهب التي تؤلف حاضراً الانسان من تآزر العلل الفاعلة في ماضيه ، سوائه اشخصياً قريباً كان هذا الماضي ، كما في التحليل النفسي ، أم اجتماعياً — تاريخياً بعيداً ، كما في تاريخ المجتمع التطوري ، أم عضوياً — تطورياً ، كما في نظرية النشوء والارتقاء . جميع هذه المذاهب على اختلافها في الأمور الجزئية ، تتفق في أنها جميعاً



تفرض ان الانسان يُعيّن تعييناً وافياً بالإضافة الى الظروف والأسباب الماضية التي تضافرت على خلقه

فأنت لا تكاد تيسر سؤالاً أساسياً واحداً أمام الرجل التاريخي حتى يتجه عقله في الحال نحو الماضي باحثاً فيه عما يسميه «أسباباً» يطمئن إليها في تعليقه للظاهرة القائمة أمامه. فأنا «من» أنا لأن والدي وتربيتي وماضي كانت كذا وكذا. والعرب اليوم هم «من» هم لأن ماضيهم، القريب والبعيد، كان بالتفصيل كذا وكذا. والانسان على العموم هو «من» هو لأن العوامل الطبيعية التي خلقته تدريجياً كانت كذا وكذا. وهكذا يذوب الانسان الشخصي الحي المباشر في هذا الماضي الخصب في عوامله، الزاخر بتياراته. ولذلك اذا نحن تقدمنا من الرجل التاريخي وسألناه: من أنت؟، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على أن يصوغ نظريته الأساسية الى نفسه في قالب كلاسي مسؤول، أجابنا على الشكل الآتي: «أنا ابن التاريخ لا أفهم نفسي إلا أثراً لهذه المجاري التاريخية التي دخلت في تكويني. فحسدي هذا وورثته من أبوي وبالتالى من الجنس البشري الذي انتمى اليه. أما خلقي وأفكاري وعاداتي ولقي وديني، فهذه جميعاً ورثتها عن آبائي وأجدادي، ولا طاقة لي البتة على ردها أو تغييرها. فأنا لا أفهم ناحية واحدة من كياني الشخصي إلا اذا أرجعتها شيئاً فشيئاً الى «أصولها» العريقة في القدم ولذلك أجدني تحت رحمة ماضي، مكبلاً بقيوده وأسبابه، لا أستطيع أن أحيّد عن تعيينه لذاتي قيد أنملة. فعندما اتقهقر بنفسي الى ظروف الماضي، عند ما أذيب كياني في التيارات التي نشأت منها، عند ما أتغلغل بذاتي في طبقات الماضي المظلم الغامض القصي»، عند ما أقارن وضعي الحاضر بأوضاع أسلافي السابقة، عند ما أعود بنفسي شيئاً فشيئاً الى الوراء حتى أتلاشى في لجة لا تختلف في القدم والظلام والبساطة عن لا شيء، عندئذ فقط أفهم نفسي وأعرف من أنا»

### النظرة الصوفية

هذه اذن هي النظرة التاريخية الى الانسان. أما النظرة الثالثة التي أود أن أصرّ عليها مرّاسرياً فهي ما أسميها «النظرة الصوفية». الصوفية تؤكد على أن بين الانسان وبين الكون وحدة نوعية، فأنا أنا بقدر ما أشعر بهذه الوحدة وأعيش وفقاً لمقتضاياتها. فهذا الحشْب لا يختلف نوعاً عني أو عنك، وهذه الدودة لا تختلف كيفية عن سقراط أو عن دوستوفسكي، وهذا اللون الأزرق لا يختلف صفة عن رواية هملت أو عن السمفونيا الخامسة لبيتهوفن. واذن فالكائنات جميعاً تقع في النهاية بموجب هذه النظرة على نفس المنزلة الكيانية من الوجود. وما غاية الانسان القصوى إلا أن يشعر، وهو مغمض العينين بتلك اللذة الفائقة التي لاشك تسطو



عليه اذا ما شعر باخاء الخشب وقرابة الدودة والألوان . وبما أن الصوفية تطمس هكذا التميزات الكيانية بين الأشياء ، فهي لا تستطيع أن تعتبر شخصية كل شيء . يجد ذاته فاصلة اياه فصلاً مطلقاً عن أي شيء آخر . ولذلك فتتقصها مقدرة التمييز بين الخطأ وبين الصواب ، بين الخيال وبين الواقع ، بين الوهم وبين الحقيقة ، غير عابثة بالبحث عن مقياس صحيح تستند اليه في تطبيق هذا التمييز . اما الصوفيون في البلاد العربية فكثيرون ، مع انهم قد لا يطلقون هذه اللفظة على انفسهم . فكل رجل يتخذ شعوره وعاطفته وخياله محكماً لحقيقة هو صوفي في جوهره وكذلك كل رجل يبعث العقل ويهرب من التميزات الفكرية غير مؤمن بالعلم والفلسفة . وأنا أزعم ان الشعراء على العموم هم صوفيون في نظرهم الى انفسهم ، ومعلوم ان العالم العربي يمج بالشعر والشعراء . واذا نحن تقدمنا من الصوفي وسألناه بتؤدة واحترام : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على ان يعبر عن نظريته الى نفسه بقالب كلامي مسؤول أجابنا على الشكل الآتي : — « أنا ؟ ! لا أدري من أنا ! ولكنني أشعر في بعض الأحيان بألفة تامة بيني وبين هذا الكون . في هذه اللحظات النادرة اتحد بالكون اتحاداً وثيقاً وأعرف من أنا : أعرف أنني والكون ذات واحدة . عندئذ تفتي التميزات الحية — العقلية بين الأشياء ويصبح كل شيء واحداً واحداً . في هذه الحال أغيب عن الوعي العادي وأغوص في لجة من اللاوعي تنفجر معها نفسي عن جداول رقراقة من الشعر الخالص ترن رنيناً موسيقياً لجميع ذرات الوجود . وهذه هي غاية وجود الانسان : أن يكون الكون ! وكل كيان دون هذا وهم وخداع . أما اذا عدت فوق كل هذا وسألني من أنا ؟ ولماذا وجدت ؟ وهل لي روح ؟ وما هي علاقة روحي بجسدي ، وعقلي بجسي ؟ فأجيبك على كل هذا بلسان أبي ماضي :

جئت ، لا أعلم من أين ، ولكنني أتيتُ  
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ  
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أيتُ  
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ ...  
لست أدري

أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضية  
أنا لا أعرف شيئاً من حياتي الآتية  
لي ذات غير أنني لست أدري ما هي  
فتى نعرف ذاتي كنه ذاتي ؟ لست أدري «



## نظرة الاشتراكية المادية

والنظرة الرابعة الى الانسان هي « نظرة الاشتراكية المادية » ولا يهني من الاشتراكية في هذا الحديث الا ما تتضمنه من عقيدة أساسية بشأن طبيعة الانسان فكل ما نقوله ، مثلاً ، عن توزيع الثروة توزيعاً عادلاً وعن ضرورة ضمان العدل الاجتماعي وعن إلغاء النظام الرأسمالي الطبقى وعن القضاء على الاستعمار وعلى امتلاك الحكومة لمرافق الثروة ، كل ما تذهب اليه من ان التاريخ حركة وانتقال دائماً تتحكم فيهما القاعدة الديالكتيكية التي اكتشفها كارل ماركس ، جميع هذه العقائد لا أريد ان أتصدى لها هنا ، لأن هدي في المقيد لبحثي هو أن استخرج من الاشتراكية المادة الفكرة التي تنتهي اليها بشأن الكيان الانساني ، يقيناً مني أن كل شيء آخر تذهب اليه يتوقف آخر الامر على نظرتها الى الانسان . فما هو او بالاحرى من هو الانسان في نظرة الاشتراكية المادية ؟ الانسان — أعني أنا وأنت — هو بحسب الاشتراكية المادية من « المادة » النهائية نفسها التي يتألف منها هذا الكون المادي ، ونواميس هذا الكون هي بعينها النواميس التي تضبط حياته بيد من حديد . نشأ الانسان من الحيوان ، وتطور وفقاً للسنن الداروينية المألوفة ، ولذلك فالنواميس الفيسيولوجية التي تتحكم في سلوك الحيوان تنتقل بمجملتها الى الانسان معيّنة كيانه . فالعقل ومظاهره ، والروح واعلانها عن نفسها ، وكل ما يفتوي تحت لفظة ثقافة ليس في الحقيقة سوى مظهر مادي لسلوك هذا الجسم المادي المؤلف من دماغ وعضلات وعظام . ولذلك فللإنسان حاجات عضوية أساسية ، كشهوة المعدة وشهوة الغريزة الجنسية ، لا مفر له من إشباعها . من هنا نفهم كيف ان الأنانية هي القاعدة الأولى لتصرف الانسان ، الأنانية التي تقتضيها ضرورة اشباع حاجاته وشهوته . ومن هذه الضرورة الطبيعية تنشأ حتماً النزاعات بين الأفراد والجماعات ، وتطور بحسب الناموس الديالكتيكي الذي شرحه كارل ماركس في مصنفاته ، بانياً جوهره على فلسفة هيغل سلفه . ولذلك اذا نحن تقدمنا من الاشتراكي المادي وطرحنا عليه هذا السؤال : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على ان يركب نظرية الأساسية الى نفسه في قالب كلامي مسؤول ، أجبنا على الشكل الآتي : — « أنا في الدرجة الاولى كائن اقتصادي — مادي ، لي حاجات في الحياة يحجب اشباعها . سُئيتي الاولى هي انانيتي ، أو بالأحرى مصلحة الطبقة الاجتماعية التي أنتهي اليها . في سبيل خدمة هذه المصلحة أسوِّغ كل شيء لان قاعدتي الأدبية الأساسية هي ان الغاية تسوِّغ الوسيلة . اما القول المعسول بالمبادئ والاخلاق والقيم الروحية فهذا كله خداع وتضليل من قبل الطبقة المسيطرة . فانا لست في كيانى سوى ظاهرة مادية بحجة أخضع لنواميس المادة والحياة والاجتماع ، وخصوصاً للقانون الديالكتيكي — المادي كما يتمثل في حرب الطبقات .



من كل هذا ترى اني من جميع جوانب حياتي عبد طائع لقوى طبيعية لا أثر قط لارادتي فيها، عبد لنواميس المادة، عبد لنواميس الحياة، عبد لحاجاتي وشهواتي، عبد لأنانيتي، عبد، فوق كل شيء، لمصلحة الطبقة الاقتصادية — الاجتماعية التي انتسب اليها، هذه الطبقة التي تفرض عليّ من النظم والأفكار والمثل ما يجب عليّ أن أبنائه وأسعى الى تحقيقه ومن الحركات التاريخية ما يجب عليّ أن أنضوي تحت لوائه»

### النظرة القومية

وتجاري هذه النظرة الاشتراكية المادية في عالمنا الحاضر حركة لا تقل عنها إصالة وعمقاً، هي «الحركة القومية». ولا أظن باحثاً يستطيع ان يعالج موضوعاً أساسياً واحداً في هذا العصر دون أن يصطدم بادیء ذي بدء بالقومية ومظاهرها. وما مهدت به الى النظرة الاشتراكية يصح كذلك أن أهد به هنا، وهو اني لا أتلمس من القومية الا الفروض الأساسية التي تفرضها بشأن طبيعة الانسان، لأن الانسان، كما قلت، يعين بفطرته الى نفسه جميع نظراته الى الأشياء. القومية تقول إن الانسان في ذاته قومي، أي انه لا يتم كيانه الا بانتسابه انتساباً فعلياً الى أمة معينة. والأمة بالمعنى القومي هي جماعة من البشر تؤلف بينهم على العموم جامعة اللغة الواحدة والماضي الواحد والعادات والتقاليد الواحدة والتفاعل الاجتماعي الواحد والاهداف الواحدة، وفي معظم الأحيان كذلك جامعة الدم الواحد والدين الواحد والحكومة الواحدة. هذه الوحدة التاريخية الاجتماعية المركبة تشكل ثقافة واحدة تنظم فيها ملكات الأمة جميعاً. فالانسان اذن انسان بقدر ما يندمج في قومه اندماجاً صميماً، مشتركاً معهم من أعماق قلبه في كل ما يجتازونه من محن وأزمات. «المصيبة القومية»، «الغيرة القومية»، «الشرف القومي» «المصلحة القومية»، «الزهو القومي»، «الرسالة القومية»، «الوعي القومي» — هذه هي الفكر الاولى التي تقيس عقل الرجل القومي، وهي جميعاً تفرض ان الانسان، بقدر ما يريد ان يكون انساناً، يجب ان يمارس مسؤوليته ووفاءه في الدرجة الاولى نحو أُمته. واذن اذا نحن سألنا الرجل القومي — أعني اذا سألنا بعضنا بعضاً — : من أنت؟، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على أن يضع نظراته الى نفسه في قالب كلامي مسؤول، أجابنا على الشكل الآتي: «أنا لا أعرف عن حقيقة نفسي الا أنني انتمي الى هذه الأمة المجيدة، أذب عنها الضم، محاولاً جهد طاقتي ان أرفع شأنها بين الامم. لأمتي ماضٍ عريق في القدم والمجد ازهى به، ولها كذلك باذن الله مستقبل باهر سنؤدي فيه رسالتها الفذة الى الأمم طرّاً. من واجبي ان أفكر تفكيراً قومياً وأن أحيا حياة قومية، وهذا يقتضي أن أقدر الأشياء على ضوء مصالحة أمتي العليا، فالتفق مع هذه المصلحة هو خير، وما يتنافى معها هو شر،



وليس ثمة في الحقيقة ميزان للخير والشر غير هذا الميزان القومي . العضوية والفسولوجية والسلوكية لا تفيد قوميّ كثيراً أو قليلاً ، أما التاريخية فمن صميم قوميّتي ، لأن أمتي من صانعي التاريخ ، ولذا فأنا آخذ بها . ولي كذلك « صوفية قومية » خاصة غير صوفية الشعراء « فالكون » لديّ هو أمتي ذاتها لا أكثر ولا أقل ، وعند ما تتحد مصالحتي بمصلحة أمتي ، عند ما تخرج نفسي بكل ما تخرج به أمتي من آلام وآمال ، عندئذ أشعر بالسعادة القصوى . أما الاشتراكية فلا آخذ بها إلا إذا كانت اشتراكية قومية . أمتي اذن هي محور كياني كله ، منها استمد وحي ومن أجلها أحيأ ومن أجلها أموت»

### نظرة الناس

بقيت أخيراً نظرة أولئك الذين لا نظرة لهم ، أولئك الذين لا يعبأون بالنظر من أساسه فمن هم هؤلاء الذين لا نظر لهم ، والذين لا يريدون ان يكون لهم نظر ؟ من هم هؤلاء الذين بالرغم من أنهم يكرهون النظر والنظريات ، فكل شيء في كيانهم يتحدّ حتماً في النهاية من عدم نظرهم الى أنفسهم ؟ هؤلاء هم ، أيها السادة ، الأغلبية الساحقة من البشر ، فأنا أعرف حق المعرفة ان أصحاب الرأي والنظر — وخصوصاً أصحاب ذلك الضرب من النظر الذي ينظر الانسان به الى نفسه — أقول إن أصحاب الرأي والنظر تكاد تبحث عنهم عبثاً بين بني البشر . أنا أعرف حق المعرفة ان العضويين والتاريخيين والصوفيّين والاشتراكيّين والقوميين ، وبكلمة أخرى أولئك الذين ينظرون ولو بعض النظر الى أنفسهم ، هم نفر من أقل الأتار عدداً . أما معظم البشر فلا يعرف حقيقة نفسه ولا يتعرف اليها . ولكي أستطيع الإشارة فيما يلي الى هذه النظرة الغالبة أطلق عليها عبارة « نظرة الناس » . وما ان الناس ، بهذا المعنى التكنيكي ، خائفون هاربون تائهون ، فنحن لا نستطيع ان نفرض أنهم أمينون مع أنفسهم ، ولا أنهم صريحون معنا . ولذلك لا يمكن أن نتوقع منهم تركيب نظرتهم الى أنفسهم في قالب كلامي مسؤول فنأخذ نحن على عاتقنا أمر هذا التركيب ناثين عنهم . فمن هم الناس ، وما هي نظرتهم الخفية الى أنفسهم ؟

الناس ، حفظهم الله ، لا ينظرون الى أنفسهم ، وذلك لسببين : أولاً لأن ليس لهم نفس ينظرون اليها ، وثانياً لأنهم يؤثرون النظر الى غيرهم . وهذا الغير الذي ينظرون اليه هو بعينه ما يسمونه « الناس » . فالناس لا يفكرون إلا بالناس ، بما فعل الناس وما قال الناس وما يحتمل ان يقول الناس . يرمي الناس من حياتهم في الدرجة الأولى الى اشباع بطونهم وشهواتهم ، ولذلك فاذا أنت ضمنت لهم مجرد هذا الاشباع جعلوا منك لهم الهاً يعبدونه ، كما قال عنهم دوستيافسكي في فصل « قاضي التفتيش الأعظم » في سفره الخالد « اخوان كارامازوف » .



فبدأ الناس الأول هو نشدان اللذة واجتذاب الألم ، وكل ما هو شهى لذيد ، لذيد للجسد ولذيد للعين ولذيد للسمع ، يتدفق له لعابهم تدفقاً . أما كلام الناس فقيض غزير من الغررة و « القيل والقال » يلقونه ذات اليمين وذات اليسار عن أي موضوع تطرحه عليهم ، فهم يعرفون أسرار الحرب الحاضرة كلها ، ويعرفون كذلك من الآن كيف ستتطور وكيف ستنتهي . وإذا دقت فيما يقولون تلقه مشعباً من أوله الى آخره بالغموض والتعنت والتهان ، وهذا بالطبع لا يضيرهم في شيء لأنهم على حد قولهم هم ، لم يدفعوا ثمن ما يقولون . ويتحالف مع هذه الزئجرة المتخبطة في الغالب طابع يطبع الناس في أخص كيانهم ، هو فضول شعوف بالأخبار الجديدة ، والقصص الشهوانية ، والحكم المتناثرة غير المترابطة . ولا يرمي هذا الشغف الفضولي الى المعرفة الحقيقية أعني الى الاحاطة بطبائع الأشياء كما هي ، لأن الناس أبعد الناس عن الاهتمام بالحقيقة كما هي ، بل يرمي أولاً وآخراً الى مجرد الاطلاع الخارجي ، حتى يتمكن الناس من القول فيما بينهم أنهم عرفوا كذا وكذا ، وهم في الحقيقة شيئاً حقيقياً واحداً عن كذا وكذا لا يعرفون . اما خيال الناس فمن الخصب والجوح بحيث لا يعرف حداً ولا قيداً اذ أنفض شيء على الناس ان يكبحوا جماح خيالهم في ضبط وتدريب والباعث الاول والاخير في خيالهم الشارد هو مصالحتهم الأنانية ، هذه المصلحة التي تملي على تفكيرهم خطوطه وتعين له آفاقه بحيث لا يستطيعون ان ينحروا من ربة طغيانها لحظة واحدة . أما عاطفتهم ومزاجهم فينتقلان مع الأيام ، بل مع الساعات والدقائق كريحشة في مهب الريح من حال الى حال ، ويتخذان لوناً أثر لون ، حتى أنك لتعجب لهذا الخلق المرن الذي باستطاعته ان يكون كل شيء دفعة واحدة . أما نكابة الناس بالناس ودس الناس للناس وحسد الناس من الناس ، وعتاب الناس للناس وشتامة الناس بالناس وتمنين الناس للناس ، فحدث عن كل هذا ولا حرج . وأخيراً اذا راق للناس ان يستمعوا الى خطاب في حفلة من الحفلات فلا يهمهم من أمر الخطاب ما أثاره الخطيب من مشاكل حقيقية بقدر ما يهمهم ما تضمنه الخطاب من تميم زائف وسجع خداع واثارة للعواطف والشهوات ، فبدلاً من ان يتحدثوا بعد انتهاء الخطاب عن الموضوعات التي طرحها الخطيب بجد ذاتها لمجدهم يثرثرون في غموض ما وراءه غموض عن لغة الخطيب وديباجته وأسلوبه والقائه و « لذيد » شعره ، كان الحياة بكاملها لا تتمثل أمامهم إلا في التمثيل المسرحي والتركيب اللغوي . وهكذا يقضي الناس ما يسمونه « حياتهم » بلا نفس ينظرون اليها ، في شهوة طاغية وخيال جامع ، ثرائين ، تأملين في براري التعسف والابهام ، فضولين ، متقلبين بين الأهواء والأغراض ، ساجدين ليل نهار للتميق السعجي ، منصرفين عن لباب الحياة الى قشور الحياة ولا يحطرون ببالكم لحظة واحدة ان النامس صنف خاص من البشر غير صنفنا ، لا نظنوا



ان الناس يشغلون مرتبة أحط من مرتبتنا، كلاً فالناس لفظة كيانية تكنيكية أطلقها على نوع خاص من كيانات الشخصيات جميعاً، ذلك النوع الذي نكونه عندما نمثل الحال التي وصفت. ونحن في الغالب نكون في هذه الحال، لأن الظروف التي تحقق فيها أسمى كيان شخصي ممكن فوقثرة الناس وحسدهم وإيهامهم، هي لحظات نادرة جداً من حياتنا. وما نحن الناس بأكثر مما نكون عندما نعتبر أنفسنا أرفع من الناس.

هذه هي النظرات الست التي أردت عرضها عن طبيعة الانسان. والآن أحب أن أذهب الى القول بأن هذه النظرات، على تفاوتها الشاسع في الخطأ والصواب، وفي الواقع والتجريد، فهي جميعاً لا تصور الانسان على حقيقته. بل أذهب الى أبعد من هذا، زاعماً ان الانسان انما يهرب من مجابهة حقيقة نفسه الأصلية اذا أمعن في تفسير نفسه على أساس أي من هذه النظرات.

### النظرة الاصلية

يستوي الانسان على مرتبة كيانية يمتاز بها امتيازاً مطلقاً عن أي كائن سواء. هذه المرتبة الممتازة هي الشرط الأساسي لهوض حتى هذه النظرات الست التي شرحت. الانسان هو أولاً من هو، ومن ثمة هو «ما» تذهب اليه هذه النظرات. فمن هو الانسان في كيانه الأصلي؟ الانسان — أعني أنا وأنت — يستخدم الآلات والأدوات من أجل غايات بعيدة بعقلها، فاذا نحن حدقنا وسائل الحياة البشرية، من كلام وبيوت وسيارات الى ما هنالك من أدوات الحياة التي لا نهاية لها، لم يتبق معناشي اسمهُ «انسان» واذن الانسان هو وسائل كيانه لا يبي الانسان بهم يشقى الامور. فهو اليوم بهم يشغله، وغداً بزواجه، وبعد غدٍ بأولاده، ولذلك تكتنف الانسان دائماً وابدأً من جميع جوانب حياته مشا كل وهموم لا يستطيع الا أن يعيرها بعض التفاته او كله. فاذا أزلنا تماماً هموم الحياة الكيانية لم يتبق معناشي اسمهُ «انسان». ولذلك فالانسان هو في صميم كيانه مهموم، ومن يهرب من هموم الحياة ومشاكلها يهرب في الحقيقة من انسانيته.

الانسان هو الوحيد بين سائر الكائنات الذي يرمي عن عقل وبصيرة الى امكانيات قريية او بعيدة. وهو لذلك يرسم الخطط عن وعي خالص محاولاً في الحال اتخاذ الاجراءات المنفذة لها. فاذا حدقنا امكانيات الانسان المترامية أمامه الى آفاق بعيدة او قريية، لم يتبق معناشي اسمهُ «انسان». اذن فالانسان هو امكانيات كيانه، وما الموت سوى قناء هذه الامكانيات وبما ان امكانيات الحياة تقع في شيء اسمهُ «المستقبل» نجد الانسان مهتماً فوق كل شيء بمصيره ومستقبله. فنحن لا يهمنا شيء على الاطلاق بقدر ما يهمنا أن نبدد حجب الغيب لنفقد



إلى ما يضمّره لنا المستقبل، والانسان الذي لا يفكر في مستقبله ومستقبل من يجب ليس بالانسان، كما ان الأمة التي لا تنزع في الدرجة الاولى الى مستقبلها، مضحية بكل ما يتنافى مع ذلك من ماضيها مهما يكن هذا الماضي عزيزاً غالياً، ليست بأمة حية، ولن تكون «أمة المستقبل» واذن فالانسان هو مستقبل وجوده، ومن يُغفل مستقبله امامه لأي سبب من الأسباب، تسقط في الحال عنه انسانيته، ويصبح مادة جامدة او عبداً لا ارادة له

ومن امكانيات الانسان ان يسقط الى مرتبة الناس مذنباً نفسه في ثمرتهم وفضولهم وغموضهم. وهذا بالفعل ما يحدث لكل واحد منا يومياً، لأننا جميعاً بشر. ولكن في الوقت ذاته يستطيع الانسان أن يرتفع الى ذروة الكيان الأسمى، حيث المسؤولية المطلقة في كل شيء. في هذا الكيان يرى الانسان نفسه كما هي، مبرزاً بين امكانياته الحقيقية وبين أحلامه الوهمية. واذا احتضن الانسان امكانياته التي يستطيع في الحقيقة ان يقدم ويؤخر فيها، نابداً أوهامه التي لا يقدر بشأنها ان يتخذ قراراً حاسماً واحداً، عندئذ تنطلق نفسه حرة من قيود نفسه، وتتجلي الأشياء أمامه بصفاء ما بعده صفاء. ولذلك فالانسان هو هذه الامكانية الثنائية، إما سقوطه الى حضيض الناس وإما ارتفاعه الى أوج الكيان الأسمى

الانسان، بقدر ما هو انسان، دائماً وأبداً يفهم شيئاً، سطحياً أو حقيقياً، عن نفسه وعن طاله. هذا الفهم العاقل يصاحبه في حياته منيراً له خطى سيره. فاذا حذفنا من الانسان عقله الفاهم لم يتبق معنى شيء اسمه «انسان». واذن فالانسان هو عقله وفهمه

لا يكون الانسان انساناً الا بالتفاعل الحيوي المتواصل مع الغير، فالانسان ما دام انساناً لا بد أن يكون على تفاهم مع غيره، سطحياً كان أم أصيلاً. أما اذا اقصينا الانسان الى جزيرة نائية بعيداً عن التفاعل الاجتماعي المسؤول فسرعان ما تنتفي عنه انسانيته. واذا لاذ أحدنا بكهف ذاتي متصلاً من تبعاته الاجتماعية الفعالة — وما أكثر الكهوف التي يخلقها الانسان هارباً متهرباً — خفت فيه مع الزمن حدة انسانيته، وأخذ ينطق بالشعر الصوفي الذي لا ينم على أي تقدير للحقائق الاجتماعية الصارخة. واذن فالانسان هو تفاعله الاجتماعي ومسؤوليته الاجتماعية

يظل الانسان، ما دام انساناً، قلقاً على هذا أو ذاك من الكائنات التي تخصه، ولكنه في صميم ذاته قلق في الدرجة الاولى على كيانه هو. ولا يوجد كائن غير الانسان يستطيع أن يقلق على وجوده، فلم يعرف بعد أن كلباً قضى ليله قلقاً على وجوده أو عدم وجوده. واذن فالانسان هو قلقه الكياني

يخجل الانسان في حيرة وارتابك، وهو اذ يخجل يشعر بحرمه، فيتوب عنه أو لا يتوب.



وفي كلتا الحالتين ينهض شيء في كيانه اسمه «الضمير»، ويبلغ به أحياناً تأنيب ضميره إلى درجة من العنف تدفعه إلى الانتحار. ولم يعرف بعد حيوان تعلو وجهه علامة الحياة والجل، ويعنفه ضميره حتى يتحرر. لذلك إذا نحن حذفنا هذه المظاهر من كيان الإنسان لم يتبق معنا شيء اسمه «إنسان»، بل شيء لا يصلح إلا للزج في غياهب السجون أو ملاجئ المجانين. وإذا فانا خجلي وحيرتي وشعوري باجرامي وتأنيب ضميري، ومن يقتل في ضميري بطن إنسانيتي في الصميم.

يتمتع الإنسان بحرية ذاتية يستطيع أن يمارسها فوق أي قيد يقيد به الطبيعة والظروف. ولولا هذه الحرية الأصلية لما تمكن الإنسان في الماضي من التغلب على الطبيعة والظروف، ولما تمكن من خلق العلم والفن والتنظيم الاجتماعي الذي يعيش في كنفه. أما الإنسان أو الأمة التي تخضع للقضاء والقدر، أيما كان الاسم الذي تطلقه على القضاء والقدر، ولا تحارب في سبيل حريتها، فسرعان ما تفقد حتى الطيف الضئيل من الحرية الذي تتمتع به، قاضية بذلك على كل ما يطبعها من المزايا الإنسانية. فأننا إذن حريتي واختياري، ومن سلب مني هاتين الصفتين سلبي بكامله.

تفرض هذه الحرية الحقيقية وجود إرادة في الإنسان تمكنه من اختيار ما يختار. فالإنسان يريد هذا أو ذاك من الأشياء، أو لا يريد. وإذا حذفنا مظاهر الإرادة من الحياة، مظاهر العناد والتشبث، مظاهر الامتلاك الشخصي، والتعبير الشخصي، إذا حذفنا تعارض الإرادات بعضها مع بعض، واشتباها بعضها ببعض، وصراعها الدائم بعضها مع بعض، بين أفراد الأسرة الواحدة، وبين الأصدقاء وبين أفراد الأمة الواحدة، وعلى المسرح الدولي العام، إذا حذفنا جميع هذه المظاهر الإرادية من الوجود، حذفنا بذلك الإنسان نفسه. فانا إذن إرادتي الشخصية، ومن قتل في إرادتي، قتلني بكليتي.

الإنسان يحب ويتفانى في حبه، وقديماً قيل إن الله خلق العالم بدافع حبه. فإذا لفحني الحب الطاهر بلوغته العذبة دخلت إلى جنات مقدسة من الكيان السامي لا يفقه الإنسان العضوي لها معنى، ولا يعرف الإنسان التاريخي عنها شيئاً، ولا يقدر الإنسان الصوفي أن يصورها ولا الإنسان الاشتراكي أن يشترك فيها، ولا يسمح للإنسان القومي بأن يدخل إلى قدسها، ولا للناس بأن يقولوا عنها كلمة ثرثرة واحدة. وإذن فأننا حبي، ومن سلب مني حبي، سلبي بكامله.

يكون الإنسان إنساناً بالمقدار الذي يقدر به الثقافة ويضحى في سبيلها. فالإنسان الذي لا يفهم ولا يريد أن يفهم العلوم والروح العلمية الخالقة لهذه العلوم، الإنسان الذي لا يقدر



ولا يحاول أن يقدر الفنون والروح الفنية الخالقة لهذه الفنون ، الانسان الذي يهرب من الفلسفة الأصلية خائفاً متجففاً ، هذا الانسان ليس في الحقيقة بانسان . والأثم التي لا تمسح الثقافة والروح لا تعتبر في الحقيقة على جانب وافر من الكيان الانساني ، مهما تكن قوية في جسدها ، حادة في غريزتها ، مكينة في فطرتها . وإذن فأنا تقديري للروح ومظاهرها ، وأنا كذلك انتاجي الروحي ، ومن أضعف في هذا التقدير ، ووقف سداً منيعاً في سبيل انتاجي الروحي ، قضى عليّ بكاملي

الانسان إما روح متمردة وإما قلب منسحق . والروح المتمردة تتجه في كيانها نحو الفناء لأنها تفيض الوجود . فإذا جابهتها بكيان قائم رمت في الحال الى نقده أو نقضه . أما القلب المنسحق فيفرح لكل كيان ولا يتمنى له إلاّ اطراد الرسوخ . القلب المنسحق إيجابي في زعته بناءً في عمله ، ولذلك فجزاؤه في النهاية رؤية الحقيقة كما هي . وإذن فأنا روحي المتمردة أو قلبي المنسحق ومن يُفنى في إحدى هاتين الامكانيتين ، يُفنى كياناً بكامله

فوق هذه التراكيب النهائية المكونة لحقيقة الانسان يوجد تركيب هام يتعالى عليها جميعاً وبصهرها في بوتقة واحدة . هذا التركيب الأخير هو كآبة الانسان السحيقة ووحدته المتأصلة . فالانسان كثيب الى أقصى أبعاد الكآبة ، وحيد الى أقصى حدود الوحدة . ولا يفضح كآبته شيء أكثر من ضحكته هذه الصفراء التي يكذبها بصراح عنيف كل تقطيع من تقاطيع كيانها . أما وحدته فكما حاول ان يهرب منها ملتجئاً الى هذه الاجتماعات الأخوية والسهرات المسلية حيث يتسامى الأصدقاء في جو ثقة وصفاء ، كلما ازدادت تأصلاً وصراحاً . الانسان لا يكون انساناً إلا إذا عرف كيف يكون وحدته الكئيبة ، ولا يكون الانسان وحدته الكئيبة إلا إذا أثار مشاكلكه الكيانية الأخيرة وحدق فيها تحديقاً خالصاً من أي خوف أو وجل . في حضن هذا التحديق الكئيبي يقتصر الانسان لهب الحق الخالد ، خالفاً كل ما يشع في كيانه من علم ونور ، وما الخالقون في التاريخ إلا أولئك الذين عرفوا سر الأسرار المسكون منذ الأزل ، أعني أن الخلق الروحي أثر لتفجير الكآبة الحزينة في النفس الصادقة . فمن يصن كآبته كأقدس شيء في كيانه ، من يعرف كيف يحمل صليها ويسمر عليه ، من يصبر عليها في غير نورة ولا هرب حتى تنقلب فيضاً سخياً من الفرج الداخلي ، من يفهم هذه الأسرار الخفية ويعمل بها ، ينل من لدن كآبته ذاتها فرحاً وجبروتاً يقهرهما العالم كله . فالانسان إذن فوق أي شيء ، هو كآبته البليغة ، ومن لم يذرف الدموع في تهديدات لا يسبر غورها غير الله ، لم يجتبر بعد نهايات انسانيته . وإذن فأنا أرفض أن تكفكف دموعي ، إذ كل دموع خالصة تقطر مني تثبت في انسانيتي وتجعلني أهلاً لأن أرث زفرات الكآبة المتصاعدة في التاريخ



# عيوب المعاجم

العربية وحاجتنا الى معجمين

للامير مصطفى الشهابي

— ١ —

قرأت في العدد ٧٢ وما يليه ( ١٤ مايو حتى ٤ يونيو سنة ١٩٤٠ ) من مجلة الثقافة بحثاً لغويّاً ممتعاً للعلماء الأب انستاس ماري الكرملي ، عنوانه « معاجنا العربية » أشار فيه الى بعض المعاجم القديمة في اليونانية واللاتينية ، ثم تناول الامهات من معاجنا وذكر جانباً يسيراً مما حوته في طياتها من المعاييب والمشايين . وأنهى بحثه قائلاً أنه اجتزأ بما ذكر « ليكون مثلاً » في النفس من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من ديار أهل الرقي والعمران . فعسى ان تصلح لتجاري سائر الأمم بتقدمها الأدبي ونهضتها العلمية »

ولعمري ان من ابتلوا بالتنقيح عن الألفاظ في تلك المعجمات ، بغية وضع مصطلحات سائفة لعلم من العلوم الحديثة ، يجدون في كتب اللغة هذه الشيء الكثير من الاغلاط والتصحيفات والتقصير في تعريف الألفاظ والخلو من كثير الكلام وتفسير العربي بالأعجمي وتفسير الألفاظ تفسيراً بعيداً عن العلم كل البعد ، وفي اعتقادي ان العيب الاخير هو اكثر العيوب ضرراً ولما كنت منذ عشرين سنة أخرى في كتب اللغة الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون الزراعية اجتمع لدي عشرات بل مئات من الأمثلة على تلك النقائص والمغامز . وهاكم بعض الأمثلة على سبيل الاجتزاء

اولاً — جاء في الخخص لابن سيده عن ابي حنيفة . الدُّنْب والصَّنَّار بالفارسية شجر عظم ويتسع ولا نوز له ولا ثمر الخ

قلت في هذا التعريف غلط علمي . فالدلب من ذوات الأزهار اي ان له نوراً وثمرّاً ثانياً — جاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي : الأرض شجر الصنوبر او ذكره قلت في هذا التعريف غلط علمي ايضاً . فشجر الصنوبر ليس له ذكر وانثى ، بل له ازهار ذكرية



وأزهار اثوية على الشجرة الواحدة . فالصنوبر يسمى في علم النبات « وحيد المسكن » على عكس النخل مثلاً فهو ثنائي المسكن أي ان منه ذكوراً لا يحمل فحماً لها إلا أزهاراً ذكرية وإناثاً لا تحمل واحدهما إلا أزهاراً اثوية

ثالثاً — اذا راجعت لفظة القنب ألفتهم يعرفونه بأنه نوع من الكتان أو ضرب من الكتان . والمعروف ان القنب نوع نباتي والكتان نوع نباتي آخر وكلاهما من فصيلة نباتية . وليس في تحليلتهما تشابه

رابعاً — اذا فتشت في القاموس المحيط عن الصفصاف وجدت الفيروزابادي يقول : الصفصاف شجر الخلاف

واذا فتشت عن لفظة الخلاف ألفتهم يقول الخلاف صنف من الصفصاف وليس به

والقارىء يدرك على الفور أن أحد التعريفين على الأقل فيه سقم واضح

خامساً — من الأمثلة على تفسير الكلام بألفاظ أعجمية قولهم ان الكبر سنّة هي الكشّنى ، والفصيفصة الأسنّست ، والحبّ القوتنج ، وحبّ الراعي البرنجاسيف ، والبندق الجيلوز ، والزبل السرقين ، وحسّ الدابة فرجنّتها ، الخ

ومن بدائه الأمور ان المرء عند ما يراجع لفظة من تلك الالفاظ في معجم عربي فهو يأمل ان يجد لها تعريفاً مفهوماً لا ان يرتطم بألفاظ أعجمية معرّبة

سادساً — أغرب ما يسترعي النظر في معاجمنا التقصير المشين في تعريف الالفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون ولا سيما أسماء النباتات والحيوانات . فمعظم هذه النباتات والحيوانات لم توصف بأكثر من أنها نبات أو شجرة أو حيوان أو طائر أو ما اشبه ذلك . وكثيراً ما يضيفون اليها لفظة « معروف » كأنه يفرض على المطالع معرفة الأسماء التي يتحراها . وهو لو كان يعرفها او كان يعرف تحليلتها لما احتاج الى معجم . فالسّمّر شجر معروف ، والسعتر نبت معروف ، والحفظل معروف ، والسوسن هذا المشموم ، والشحرور طائر وهكذا الى ما لا نهاية له من الالفاظ التي قصرنا في وصفها كل التقصير

سابعاً — من الأمور الشائنة ان معاجمنا خلطت عدداً كبيراً من أسماء أعيان المواليد بعضها ببعض لأن أجدادنا العرب القدماء ما كانوا يميزون بينها تمييزاً علمياً ، او ما كانوا يهتمون بهذا الأمر وقد كانوا جاهلين بتفصيلات العلوم الحديثة . وتصنيف الأحياء . فاذا فتشت في القاموس المحيط مثلاً عن الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ألفت الفيروزابادي قد عرف واحداً بالثاني حتى



لكنها جميعاً شجرة واحدة على حين ان كلاً منها جنس نباتي مستقل عن الآخر تماماً<sup>(١)</sup> ولا يمكنني أن أعلل سبب ذلك الخلط إلاّ بكون بعض هذه الأشجار ليست مما تنبتة جزيرة العرب . ولهذا قال صاحب العين الأرز هو العرعر وقال أبو عبيد الأرز هو الذي يسمى بالعراق الصنوبر الخ . والتشويش واضح . والأمثلة على الخلط في تسمية أعيان المواليد كثيرة نذكر منها الأوز والبط فهما في كتب اللغة شيء واحد . وكذلك الكرب والسلق . وكذلك اللوز والبندق الخ . وكل من شدا شيئاً من علمي النبات والحيوان يعرف ان الكرب من الفصيلة الصليبية والسلق من الفصيلة السرمقية ، وأنهما بقلان مبدولان ، وأن الفرق في تحليتهما عظيم . أما الفرق في تحلية اللوز والبندق فهو أعظم . فاللوز من الفصيلة الوردية والبندق من الفصيلة البلوطية . ولا تشابه في ساقهما ولا ورقهما ولا أزهارهما ولا نورهما ولا ثمرهما وأما البط والأوز فهما وان كانا من فصيلة حيوانية واحدة فإن كلاً منهما ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر

— ٢ —

يتضح من هذه الأمثال التي لديّ عدد كبير منها ان اطلاق اسم أحد النباتات او الحيوانات على نبات او حيوان آخر شيء لا يجوز البتة في أيامنا هذه وإن جوزه أجدادنا في السنين الخوالي . ويقيد في اظهار ما لهذه القضية من الشأن ان أضرب لك مثلاً : وهو أنني إذا دخلت وإياك حديقة من حدائق دمشق أو لبنان ، ووقفت وإياك أمام خمس شجرات مختلفات الأجناس والأنواع ، وهي شجرة من الصنوبر وشجرة من الأرز وشجرة من السرو وشجرة من العرعر وشجرة من التنوب ، ثم سألتك عن أسمائها ، فلا يجوز ان نجيب بأن الشجرة الأولى لها خمسة أسماء : ( الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والتنوب ) ، وان الشجرة الثانية لها خمسة أسماء أيضاً : ( الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والتنوب ) وهكذا حتى تسمي كل شجرة بالأسماء الخمسة على السواء ، وأنت تعرف مني ان كلاً منها نوع نباتي مستقل عن الآخر ، وان العارفين بالأشجار من أبناء العرب يعرفون بينها بمجرد النظر إليها ولا يخلطون في تسميتها . وإذا سألتك ليحجم هذا الجمع في التسمية؟ أجبني لان أجدادنا العرب الأقدمين هكذا قالوا ، وهكذا نقل عنهم أصحاب كتب اللغة . فجوابك هذا لا يكون مقنعاً . ولا يرضخ له اليوم إلاّ الجاهل او الجاهل أو النكسار بالحسوس . وليس هذا الخلط في التسمية سوى عيب من عيوب المعاجم التي لا بد لها من اصلاح

(١) أنظر ما تشرته في هذا الباب في المقتطف (عدد يونيو ١٩٤٠ وبوليو ١٩٣٩)



ثامناً — قلت ان أكثر عيوب معاجمنا ضرراً تفسيرها الالفاظ تفسيراً بعيداً عن العلم كل البعد أو لا يأتلف مع التفسير العلمي المعروف في يوم الناس هذا . والأمثلة على هذه العيوب لا تعد ولا تحصى . نخذ لفظة الشجر مثلاً . فالشجرة علمياً كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عاري بسيط وفوقه إما متسق من الورق او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق

أما في المعاجم العربية فالشجر من النبات ما قام على ساق ، أو ما سما بنفسه ، دق أو جل ، قاوم الشتاء او عجز عنه . والفرق بين التعريفين عظيم . فالتعريف العلمي الحديث بشرط ان تميز الشجرة سنين ، وان يكون لها ساق خشبية ( لا ساق هشة عشبية ) ، وأن تكون تلك الساق واحدة عارية الأسفل . وهذه الشروط كلها لا توجد في تعريف معجمائنا للشجر . ونتج عن ذلك أن الانسان اذا راجع بعض النباتات العشبية في تلك المعجمات ألفاهم بعبء عنها بلطفة شجرة . فالحشخاش فيها شجرة والكرسنة شجرة صغيرة والحطمي شجرة والشقراي شقائق النعمان شجرة إلخ . إلخ . على حين أن هذه النباتات التي ذكرتها وأمثالها مما أذكره هي أعشاب سنوية لا أشجار بمعناها العلمي الحديث . فتعريف الشجرة في معاجمنا ليس اذن صالحاً لأيماننا هذه الا اذا أردنا أن نكون نحن في وادٍ والعلوم الحديثة في وادٍ

والحشرات مثلاً لا تُطلق اليوم في الاصطلاح العلمي الا على صف معلوم من المفصيلات . والحشرة إجمالاً متسقة التركيب . فلها دائماً ثلاثة أجزاء واضحة : رأس وصدر وبطن . وفي الرأس العيون والقم والزبانيان «القرنان» . وفي الصدر ثلاث حلقات عليها ثلاثة أزواج من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك أطلق بعضهم على الحشرات اسم سداسية القوائم <sup>(١)</sup>

أما في كتب اللغة فالحشرات «الدواب الصغار منها القنفذ والفأرة والحرباء والعظاية والجرد إلخ» . وترى أهم جعلوا في جملة الحشرات حيوانات تنسب الى صفوف وفصائل مختلفة لا تمت بصلة الى ما نسميه «حشرات» في الاصطلاح العلمي الحديث

هاتان لفظتان ذكرتهما على سبيل التمثيل . ومعظم أعيان النبات والحيوان بل معظم الالفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون والفلسفة ليست معرفة تعريفاً علمياً في معاجم لغتنا الضادية . وهذه الحقيقة الثابتة خاصة هي التي تجعل تلك المعاجم مشوشة وناقصة وفي أشد الحاجة الى الاصلاح . ولا يُظن أن علماء اللغة القدماء كانوا مقصرين في اداء الواجب للغة الضاد . فهم قد نهضوا

(١) من أراد معرفة الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا فليراجع مقالاً لي بهذا العنوان في عددي مايو ويونيو سنة ١٩٣٥ من المقتطف



بعبء ثقیل جداً وخدموا لقتنا أجل خدمة . وما كان في وسع رجل يعيش في تلك العصور الحالية أن يجيء بخير مما جاءوا به . فالمقصرون هم علماء عصرنا هذا الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً يذكر في سبيل جعل اللغة العربية تتسع للعلوم الحديثة

— ٣ —

### هاهنا إلى معجمين

من أشق الأمور تناول المعجمات الحاضرة بالتشذيب والتنقيح بغية أن تستقيم على ما يريد لها . وأهون من هذا تصنيف معجم عربي جديد . وهو ما ندعو إليه في محاضراتنا ومقالاتنا وأحاديثنا منذ سنين . ويجب أن يشمل هذا المعجم على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة وعلى ألفاظ العلوم والمخترعات والمصطلحات الحديثة . ويجب أن تعرف فيه جميع تلك الألفاظ تعريفاً علمياً صحيحاً ، أي على مقتضى المعاني الداخلية في معارف هذه الأيام . ولعل معجم لاروس الصغير في الفرنسية هو مثال المعجم العربي المدرسي الذي ندعو إلى تصنيفه . ويكون من السهل بعد وضعه أن يوسع على قدر المستطاع

أما المعجم الثاني الذي نحن أيضاً في أشد الحاجة إليه فهو معجم فرنجي عربي يشمل على أصح الألفاظ العربية الناطقة إلى الكلم الفرنسية . ومن الضروري أن يتضمن هذا المعجم أهم المصطلحات في مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفة فيكون مرجعاً للمترجمين والمؤلفين الذين يقولون العلوم الحديثة إلى اللغة العربية

وبعد من هم الذين في وسعهم أن يتولوا تصنيف هذين المعجمين ؟ إن الذي يدرك ثقل هذا العبء يحكم بأنه لا بضطلع به إلا جمع من العلماء الذين حذقوا أسرار اللغة الضادية وأنقنوا لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية المشهورة واختص واحد منهم بأحد العلوم والفنون والآداب الحديثة . ولا يجوز أن يتناول الشخص الواحد منهم سوى الألفاظ التي هي في جملة اختصاصه وإذا تساءلنا كيف يجمع هؤلاء العلماء على هذا العمل ؟ ومن ذا الذي يستطيع التأليف بينهم للنهوض به ؟ فالذهن لا يتجه إلا إلى جمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر . وفي الحقيقة ينبغي أن يكون وضع هذين المعجمين أهم غرض من أغراض هذا الجمع . ويجب أن تصح همته على تحقيق هذه الأمنية دون أن تمر الأيام والسنون جزافاً . ولكم تساءل الفيورون على هذه اللغة هل اتخذ الجمع المملوكي نهجاً يهتج في هذا الصدد ؟ وهل طلب من الاختصاصيين المعروفين في أنحاء العالم العربي أن يضع كل منهم معجماً صغيراً أو قواماً كافية تشمل الألفاظ المتعلقة



بالعلم الذي يتقنه ؟ ( على ان تكون تلك الالفاظ معرفةً عميقةً علمياً . وعلى ان تُذكر بجانبها الالفاظ الفرنجية التي تنظر اليها ) . ومتى تجتمع هذه المعجمات او هذه القوائم في المجمع ؟ ومتى يؤلف من مجموعها المعجمان اللذان نشدهما ؟

\*\*\*

هذه أسئلة تهم كل من يفار على لغة القرآن . وهي ترد على لسان جميع الأدباء والعلماء في بلاد العرب قاطبة . وعبثاً ينتظرون الجواب عنها . فلا أعضاء المجمع ( على علمهم وفضلهم ) بقادريين على تصنيف المعجمين ، ولا هم يستعينون في تصنيف اجزائهما بعلماء العرب والمستشرقين ( اذا كان في المستشرقين من هم جديرون بهذا العمل ) . وهكذا تمر الأيام ومعاجمنا باقية منذ فزون على ما عرفه الفراهيدي وتلميذه الليث وابو عبيدة وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وابن منظور والفيروزابادي وغيرهم من اصحاب كتب اللغة . ولعمري لو عاد هؤلاء الأعلام الى الحياة في يوم الناس هذا ، وغاصوا في بحور العلوم العصرية ، وأنعموا النظر في معجمات اللغات الأوربية ، ووجدونا ما يرحنا نستعين بمعجماتهم دون غيرها ، لدeshوا من جهلنا وجمودنا ولأشفقوا على هذا اللسان الذي لم يتمكن من جعله يسامت ألسن الأوربيين ، ولا أن بدانيها ، ولا أن يتسع للعلوم الحديثة ولا أن يسد حاجتنا المبرمة الى الضروري من المصطلحات العلمية وليس العيب عيب اللغة ، بل عيب أبناء هذه اللغة . ومن العجب أنني ما تكلمت في هذا الموضوع مع رجل من رجال الدولة أو من رجال العلم واللغة ، سواء أمصريين كانوا أم عراقيين أم شاميين ، إلا وأظهروا لي تصميمهم على بذل وسعهم في مؤازرة من يتدبون لصنع المعجمين المذكورين . وأتذكر أن الحكومة العراقية كانت في احدى السنين أعلنت رسمياً عن عزمها على المساهمة مالياً في هذا المشروع الحيوي . فأين القصور اذن ؟ هو في الأداة التي انما غاية وجودها هو النهوض بهذا العمل وأعني بهذه الأداة مجمع فؤاد الأول لغة العربية في مصر

ولا شك ان الحرب الحاضرة لا تشجع المجمع على المضي في عمل صعب كهذا العمل . ولكن الحرب لم تكن قبل سنة . وهي ستنتهي في يوم من الأيام . فعمى ان لا نقضي العمر وفي نفسنا ما في نفس الأب انستاس المحترم « من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من ديار أهل الرقي وال عمران . فعمى ان تصلح لتجاري سائر الامم بتقدمها الأدبي وهضتها العلمية »



## اوليفر لدج

سيرته وأعماله على ذكر وفاته  
الأساس العلمي لعقيدته الروحانية

— ١ —

نحن في يوم من أيام ديسمبر سنة ١٩٠٤ والضباب في مدينة برمنغهام الانكليزية ملبس لا تكاد ترى يدك اذا مددتها . في صحن الجامعة وقف رجل مديد القامة ، وقورالطلعة ، بفحص أسلاكاً من صنف معين . ثم سمعت لعلمة على مقربة من الرجل ، كانت ايذاناً بقفز شرارة كهربائية من قطب الى قطب . واذا بالضباب الكشيف تقل كفافته . وليس هناك ربح تدفعه أمامها . واذا بباني الجامعة تبدو في الضباب اللطيف كالأشباح تتجلى رويداً رويداً ، على لوحة فوتوغرافية في حوض التجميع . نحوّل الضباب الى غيم ، والغيم الى سحب . واذا الجو في صحن الجامعة صافٍ خالٍ من الشوائب ، يحيط به الضباب من كل جانب . ثم فصل السلك الذي أحدث الشرر الكهربائي ، فبدأ الضباب يرتد الى الصحن كأنه جيش يعيد الكرة على معقل أخذ منه عنوة . ولكنه يعني ان يحتله ثانية

بعد ذلك بأيام أعيدت التجربة نفسها في مدينة لفربول ، فتمكن السير اوليفر لدج ، مدير جامعة برمنغهام من أن يبدد بشرره الكهربائي الضباب الكشيف من بقعة طولها نحو ستين قدماً وعرضها نحو ستين قدماً وعلوها نحو ستين قدماً

ما فتىء الضباب من أعدى عداة الانسان في السفر ، برّاً وبحراً وجوّاً . فالضباب اذا تكاثف في مدينة منشستر وضواحيها ، شلّت حركة المواصلات لان القطارات والتراموايات تعجز عن السير خوفاً من الاصطدام . او اذا هي سارت زحفت زحفاً . والبواخر اذا اكتنفها الضباب خففت سرعة سيرها ونقخت بصفاراتها تنبيهاً للبواخر التي لا تستطيع رؤيتها مع قربها منها وكما ذهبت طيارة وكما راح بلون ضحية الضباب الكشيف اصطداماً بجبل قريب لم ير ، او ببرج عالٍ او بناية شاهقة . لذلك عني العلماء بدرس هذه الظاهرة الجوية والبحث في الأسباب



الوافية لمكافحتها والتغلب عليها . والوسائل العلمية تنجب في الغالب من المباحث النظرية . ففي سنة ١٨٧٠ أبان الاستاذ بندل العالم الانكليزي ان الجو الذي يحيط بقضيب حام من الحديد يكون خالياً من الغبار . فظنّ أولاً ان حرارة القضيب تحرق دقائق الغبار في الهواء الملاصق له . وقيل كذلك ان تيارات الهواء الساخنة المنطلقة من جوار القضيب تطرد الغبار . ولكن لدج أثبت سنة ١٨٨٣ ان هذه المظاهر لا تفسّر بأحد التفسيرين المتقدمين . بل يمكن تفسيرها بفعل كهربى . ولإقامة الدليل العملي على صدق نظره قام بالتجربة التي تقدم وصفها فأثبت انك اذا كهربت ضباباً رسبت الدقائق التي تكوّنت عليها قطيرات الماء الى الأرض وتبدّد الضباب

كان لدج من ايام الدراسة قد وجّه عناية خاصة الى الظواهر الجوية ، وبوجه خاص الى ما كان متصلاً منها بالكهرية . وكتب سنة ١٨٩٢ كتاباً في الموضوع جعل عنوانه « موصلات البرق وواقياته » . كان القضيب الواقي من الصواعق ، المعروف بقضيب الصاعقة قد أقيم أولاً في اميركا . استنبطه بنيامين فرنكلن العالم والسياسي الاميركي ، سنة ١٧٥٢ . وقضيب الصاعقة يصنع عادة من حديد أو نحاس ، محدّد الرأس ، ومتصل بلوح معدني بالأرض الرطبة . فاذا اقتربت من البناء الذي اقيم عليه القضيب ، غيمة مشحونة كهربية استنفذ القضيب المحدد كهربيتها رويداً رويداً . فاذا تعدّر ذلك وانطلق الشرر الكهربى بين غيمة مشحونة كهربية موجبة وغيمة مشحونة كهربية سالبة ، تلقى القضيب الشرر دون البناء وأوصله الى الأرض فيوقى البناء كذلك ضرر الصاعقة . وذاع استعمال قضيب الصاعقة على أبراج السكنايس ومداخل المعامل وغيرها من المباني العالية ، ظناً انه يقي هذه المباني وقاية تامة من الصواعق . ولكن الوقاية لم تكن تامة . لأن الصواعق انقضت على بعض المباني رغم قضبان الصواعق التي أقيمت عليها . فانقلب رأي الناس في فائدة قضيب الصاعقة ، وعندئذ بدأ السر أوليقر لدج يعالج الموضوع ، ولما كان الموضوع لا يهتما كثيراً في هذه البلاد ، فحسبنا الإشارة اليه

وقد كان من أثر مباحث لدج ان حُسِّن قضيب الصاعقة حتى يفي بالغرض منه وفاء تاماً ، وجنت إدارة البريد البريطاني من مباحثه هذه وتجاربها ، فائدة كبيرة في وقاية أعمدة التلغراف والتلفون وأسلاكهما

كانت مباحثه في البرق والصواعق والوقاية منها مما استرعى نظره ووجّهه الى البحث في الأمواج اللاسلكية . ولعلّ القول بأن السر أوليقر لدج من الأركان الذين قامت على مباحثهم المستنبطات اللاسلكية الحديثة ، يثير دهشة بعض القراء . ولكن هرز شهده بذلك قال : —

بحث الاستاذ أوليقر لدج في لثربول نظرية موصلات البروق . فقام في هذا الصدد بتجارب في تفرغ مكثفات صغيرة قادته الى مشاهدة اهتزازات وأمواج مترددة . ولما كان لدج يسلم



بآراء مكسول ويسعى لإثباتها أو نفيها ، فليس ثمة ريب في أنني لو لم أسبقه لكان في امكانه الحصول على أمواج في الهواء وفي إقامة الدليل على انتقال القوة الكهربائية وقد قال السر اوليفر نفسه في هذا الصدد ما يلي ، بعدما أشار الى نظرية مكسول الرياضية الخاصة بطبيعة الضوء الكهربية المغناطيسية وبأن أمواج الكهربية تسير بسرعة الضوء : —

هذا الاكتشاف العظيم حرك فينا نحن ، الذين كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتجري . وأتذكر أنني تابحت فيه مع من نَحَرَمُهُ كلنا الآن جيمس فاضج وذلك سنة ١٨٧١ و١٨٧٢ وكنا نتلقى العلم معاً . وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسول في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الأمواج الكهربية التي قال عنها مكسول وعلى ابتكار طريقة للشعور بها ( وهذا في منزلة الارسال والالقاط في اللاسلكي الحديث ) .... وتكلمت أنا في هذا الموضوع في الجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٩٢ ... وكان رأي فزجرالد ( وهو من أعلم أهل زمانه حينئذ ) « إن توليد الاضطرابات الموجية في الاثير بواسطة القوى الكهربية غير ممكن » . ثم أصلح فزجرالد خطأه وحذف كلمة « غير » من عبارته المتقدمة . ويَسِّن سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الأمواج ... ولو استطعنا حينئذ ان نصنع آلة تلتقط الأمواج الكهربائية لوصلنا الى التلغراف اللاسلكي »

وتفصيل مباحثه في هذه الناحية والرسائل التي ألقاها ونشرها في الموضوع يحتاج الى اسهاب لا يتسع له هذا الفصل . وانما لابد من الإشارة الى ان لدج هو الذي اكتشف الرابط Coherer وهو جزء كان لابد منه في آلة الانقاط اللاسلكية . فقد لاحظ لدج سنة ١٨٨٩ التصاق الدقائق او مجمعها بفعل الكهربية . وانه اذا انقطع التيار تفرقت الدقائق . وكان برالي الفرنسي قد لاحظ هذه الظاهرة وصنع آلة دعيت « رابطاً » او « مجمعاً » Coherer ولكنه لم يفتن الى فائدتها ، فاستعملها لدج سنة ١٨٩٤ في تبين الأمواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء من أثر هذه الأمواج في برادة الرابط ، بعدما حسنه حتى يصير أدق احساساً مما كان . وبعد ذلك بسنة نجح مركوني في تجاربه اللاسلكية الأولى . وتعاون بعينها مع لدج في تحسين بعض الأجهزة اللاسلكية . ولما خطب لدج مينا طرفاً من نصيبه في المباحث اللاسلكية الأولى قال : — ودفعاً لكل مظنة أصرح أنه لولا همة السنيور ماركوني ومقدرته واجتهاده ما صار التلغراف اللاسلكي وسيلة من الوسائل التجارية ولا كانت محطاته قد انتشرت في كل الكرة الأرضية ولا كان له الشأن الذي له الآن . وقال في الخطبة نفسها : — لما تمكن السنيور مركوني من نقل حرف S لاسلكياً من أرنلدا الى أميركا ، نصب علماء في تاريخ البشر بصلح ان يجعل مبدعاً تاريخياً لما فيه من الغرابة والابداع »



## — ٢ —

ولد لدج في ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فكان عند وفاته في التاسعة والثمانين من عمره خافلاً بالماثر. وقد كتب أكثر من عشرة كتب بعدما بلغ السبعين من عمره.

كان أبوه خزافاً فبعث به إلى مدرسة نيوبورت فظلّ فيها حتى الرابعة عشرة من العمر ثم ضمّه إليه في عمل الخزف وكان على وشك أن يصبح خزافاً لما وقع في يديه اتفاقاً، نسخ من مجلة إنكليزية تدعى «الميكانيكي القديم»، ففتحت له باب عالم جديد. فسار في الطريق غير هيب. وظل مع أبيه سبع سنوات قبلما أدرك هذا أن ابنه نابغة علم. فبعث به إلى لندن لبصفي إلى محاضرة الاستاذ تدل في كلية لندن الجامعة ويتلقى أصول العلم فيها على أساطينه. وكان الشاب لا يملك نفقاته فاضطر أن يعطي دروساً خاصة ليتمكن من موالاة الدراسة. وأنت تستطيع أن تدرك مبلغ نجاحه إذا عرفت أنه نال لقب دكتور في العلوم وزوج بعد انقضاء خمس سنوات على انتظامه في المعهد. ولما كان في الثلاثين، أي تسع سنوات بعد هجره لصناعة الخزف، عين أستاذاً للطبيعة في جامعة لقربول. ومنح مدالية ومفرد، لمباحثه في الكهربية، فلما عيّن مستشاراً لاحدى الشركات الكهربائية، طمّح مباحثه النظرية تطبيقاً جنت منه الشركة فائدة كبيرة. ثم عيّن مديراً لجامعة برمنغهام الجديدة سنة ١٩٠٠ فظلّ في منصبه حتى سنة ١٩٢٠ وهناك قام بالتجربة التي وصفناها في مطلع هذا الفصل، ومن منبرها العام أصبح لدج، قوة فعالة في نشر العلوم الحديثة، بالدروس التي كان يلقيها والمقالات والكتب التي كان يؤلفها. وفي سنة ١٩٠٢ منحه الملك إدورد السابع رتبة فارس ولقب سر وانتخب عضواً في الجمعية الملكية واختير بعد ذلك رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني (١٩١٣) ورئيساً للجمعية الطبيعية ورئيساً للجمعية المباحث النفسية ورئيساً للجمعية رتنجن

## — ٣ —

من المعروف أن لدج مفكر يجمع بين العلم والفلسفة. وقد كان الأثير الجسر الذي عبر عليه من العلم إلى الفلسفة ثم خلق به في عالم الأرواح

ماذا عملاً الفضاء؟ وماذا يربط بين الشمس في رحاب الكون. وبين الذرات وأجزاء الذرات؟ العلوم متجهة الآن إلى أن كل شيء مؤلف من أجزاء منفصلة بعضها عن بعض. أنظر إلى القبة الزرقاء في ليلة صافية الأديم ترّ النجوم منتشرة في نواحيها. تفصل بينها رحاب شاسعة، فإذا أطلقت صاروخاً في الفضاء كان احتمال اصابتك أحد الكواكب به بعيداً جداً. وهو مثل احتمال اصابتك طائراً إذا أطلقت بندقيتك عفواً أو اعتباطاً في الهواء. فالرحاب التي تفصل بين النجوم والسدم شاسعة جداً



ولكن ما قولك في خشب هذه المائدة . وزجاج هذا الصباح . وقماش هذا الطربوش .  
أليس الخشب والزجاج والقماش مواد متصلة الأجزاء ؟ كلاًّ أنها ليست متصلة الأجزاء . فهي  
في تركيبها الأساسي مؤلفة من ذرات العناصر . وذرات العناصر مركبة من كهبريات وبروتونات  
والكهبريات شحنات كهربية دقيقة كل الدقة والبروتونات متصلة بشحنات كهربية موجبة على  
ما يظن . ونسبة بُعد الكهرب عن نواته قد يقابل بنسبة بعد أحد السيارات عن الشمس .  
فالذرة معظمها فراغ . وفي هذا الفراغ الفسيح نثرة من الكهبرائية هنا ونثرة هناك . فلا انفصال  
آية الطبيعة في الأجسام المادية كبرها وصغيرها على السواء

فلو لم يكن في الكون الا المادة ، لما وجد رابط يربط بين هذه الأجزاء المنتشرة . وإذا  
كان الكون خواء Chaos تاماً

ولكننا نعلم أن النجوم ليست مستقلة احداها عن الأخرى . فهي تنتظم مجموعات شمسية  
هنا . ومجموعات ثنائية هناك . وعناقيد نجمية هنالك . فتمه رابط يربط بينها يدعى الجاذبية  
ولو لم نعلم ما هو هذا الرابط على حقيقته . وإذا فالفضاء بينها لا يمكن أن يكون فراغاً . وما  
يصح على النجوم ورحاب الفضاء يصح على الأجسام المادية . فالجزيئات والذرات . والكهبريات  
والبروتونات تتجمع وتلتصق . للجسم الجامد حجم معين وشكل معين . فاذا كان بلورة رأينا  
في تنسيق سطوحها جمالاً ونظاماً . ومهما تبلغ الفسحات بين الجزيئات والذرات فلا بد أن  
تكون مملوءة بشيء يربط بين دقائقها . ويجب أن يكون هذا الشيء متصلاً

قد يختلف في الاسم الذي نطلقه عليه . فندعوه آناً بالأنير . وآناً بالفضاء المطلق . وآناً  
« بالجزء الكوني الزمني المستمر » Space-time Continuum كما يدعى في مذهب أصحاب  
النسبية ولكن لا ريب في أننا نحتاج الى شيء يتصف بهذه الصفة الأساسية التي لا نعرف من  
دونها سبيلاً الى فهم الكون الطبيعي فهماً متسقاً

كذلك يقول لدج

واللاثير صفات أخرى أهمها انه لا يرى ولا يُشم ولا يُلمس . وإنما يستطاع تمويهه ،  
والانسان يستطيع ان يحس ببعض تموجاته ، فهو ناقل للضوء ، لا يعيقه عن المرور كما تعيقه المادة  
فوظيفته الأولى اذاً ان يكون رابطاً بين دقائق المادة . ووظيفته الثانية أن يكون وسطاً لنقل  
أمواج الطاقة على اختلافها من الأشعة الكونية البالغة حدّاً متناهياً من القصر ، الى الأشعة  
اللاسلكية التي تبلغ موجتها أحياناً عشرين كيلو متراً أو تزيد

ثم ان الأنير لا يتحوّل ، ولا ينحلّ ، شديد الصلابة ولكن المادة تتحرك فيه ولا نجد أقل  
معارضة من فرك أو لزوجة



فالأثير ليس مادة بالذات لكنه مادي

وهو أداة الاتصال الكبرى . وقد يكون أكثر من ذلك . لأن بدونه لا يكون للعالم المادي وجود . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومه للاتصال لأنه يشغل جميع المسافات التي بين دقائق المادة ويوصل بينها . وإذا كان في الامكان وجود المادة من دونه فتكون أجزاء متفرقة . هو الصلة بين العوالم والدقائق . ومع ذلك فقد ينكر الناس وجوده لأنهم لا يشعرون به بحاسة من حواسهم ، إلا بالبصر اذ يتعرج

اذا خرجنا من ميدان البحث العلمي البحث ، جانبها السؤال الآتي : هل للأثير صلة بالحياة نحن نعلم أن المادة لها شكلان شكل جامد خال من الحياة . كالجوامد والسوائل والغازات والكهربات والبروتونات . وشكل آخر يعرف بالشكل العضوي وهي فيه جزيئات كبيرة معقدة التركيب تعرف بالبروتوبلازمة وما يبنى منها . والبروتوبلازمة آلة الحياة . فبعض أشكال المادة حي والحياة لغز لم ينفذ الى سره بعد . فنحن لا نعلم ما الحياة . وانما نشاهد ما تفعله الحياة . أنها تؤثر في المادة ، وتتخذ أشكالاً مختلفة من المادة وتنتقل من السلف الى الخلف . فالحياة قد تتخذ شجرة البلوط شكلاً تظهر فيه . وحياة شجرة البلوط تنتقل الى شجرة أخرى من البلوط . أو قد تتخذ الحياة العصفور شكلاً تظهر فيه ، أو سمكة أو دودة . وأشكال الأحياء كثيرة لا تحصى

ففي مرحلة معينة من مراحل الحياة ينشئ العقل في هذه المادة الحية التي ندعوها البروتوبلازمة . واذن فالعقل والحياة قد أثرا في المادة . اتنا لا نعرف ماها وانما ندرس مظاهرها . انهما يستعملان المادة مدة ثم يخفيا . ويقول لدج يخفيا لا يتلاشيان قصداً . انهما يزولان من حيز معرفتنا نحن . ولكن من يستطيع ان يقول انهما يزولان من الوجود حتماً . وكل ما نستطيع ان نقوله انهما يؤثران في المادة تأثيراً وقبياً

ولكن هل تؤثر الحياة والعقل ، في المادة فقط ، دون الأثير الذي يربط بين دقائقها ؟ هل تؤثر الحياة في الأثير كما تؤثر في المادة ؟ اتنا لا نعلم كيف تؤثر الحياة في المادة . وانما نعلم انها تؤثر . ولكننا لا نستطيع ان نثبت انها تؤثر في الأثير . وانما نحن نوجه هذا السؤال الى الباحثين . ثم هناك سؤال أهم من هذا واكثر إشكالاً . في الانسان صفات العقل والشعور والذاكرة والمحبة . وهي صفات لا نستطيع ان نقول بفقدائها في الحيوانات العليا . وانما نعلم انها تتجلى في الانسان ؟ فهل تحتاج الصفات العليا الى أداة تتجلى فيها في العالم المادي ؟ اتنا ندين هذه الصفات اذ تبدو في المادة ، ففعل بالمادة ، تنقلها وتغير اشكالها وتبدل من أوضاعها وتنفخ فيها أحياناً معنى من المعاني ، انها تتخذ من دقائق المادة مجلئ لها . فنحن لا ندينها الا اذا ظهرت بهذا المظهر المادي ، لان حواسنا مادية



ولكن لا بد من سؤال آخر . هل هذه الصفات النفسية ، تفعل بالمادة فعلاً مباشراً او غير مباشر . هذه مسألة يجب ان نخضع للامتحان والتجربة . لا بد في هذا الفعل من الاتصال . اتنا نمسك بحجر وننقله من مكان الى آخر . ولكن الذرات لا تتصل قط . بل بينها فراغ . فاذا اقتربت دقيقتان ماديتان ، احدهما من الاخرى ، تولدت قوى الدفع الفصل بينهما . فالكهرب لا يستطيع ان يلمس الكهرب . لانهما متدافعان . فهل يستطيع الكهرب ان يلمس البروتون ؟ لا نعم . ولكن اذا لمس ، انطلقت شرارة تدل على فناء احدهما في الآخر

والواقع اننا اذ نلمس جسماً من الاجسام انما نلمس الاثير فهو الشيء الذي يملأ جميع المسافات بين الاجسام . ولكن اذا كان لمسنا لا يتعدى الاثير افلا نستطيع ان نحدث آثراً بحسب به صاحبنا او جارنا او محدثنا ، لأن حوامس الناس لا تستطيع ان تدرك الاثير الا اذا تموج . وإذا فالحياة إذ تفعل بالمادة تفعل بالاثير أولاً فعلاً مباشراً ، وبالمادة ثانية فعلاً غير مباشر ولذلك يذهب السر أوليقر لدج ، الى ان أداة الحياة والعقل ليست المادة ، بل الاثير يقول علماء الحياة أنه لا بد للحياة والعقل من جسم مادي يحملها ، وهذا مسلم به . ولكن هذا الحامل قد لا يلزم ان يكون مادة في شكل من أشكالها المعروفة . بل قد يكون أبسط من المواد المعروفة . فقد يكون شيئاً ، وتكون المادة صورة محسوسة من صورته . والاثير عند السر أوليقر لدج جسم متجانس فاذا تنوع كانت المادة

فالحياة والعقل قد يكونان متصلين بالاثير اتصالاً لا ندركه بحواسنا ، وإذا فلا يحق للعلم ان ينفيه نفياً مطلقاً . فالتفي ليس من شؤون العلم . وإنما شأنه الاثبات . والتفي القاطع أصعب من الاثبات ، لأنه يقتضي علماً واسعاً محيطاً بكل شيء شاملاً لكل شيء . ونحن نعلم ان فرعاً من العلم قد يغفل شيئاً . ويعتني به فرع آخر . فالفرع الأول لا يستطيع ان ينفى وجود هذا الشيء نفياً قاطعاً . فالكيميائيون يغفلون الاثير ، وعلماء الطبيعة يغفلون الأحياء ، وعلماء الحياة يغفلون في بحثهم العقل والفصد ، وعلماء المجر لا يلتفتون الى الكواكب ، فهل يصح ان تنكر كل هذه الاشياء لأن علماء من العلوم لا يلتفت اليها ؟ وما أحسن ما قيل من أن الشك في كل شيء وتصديق كل شيء حل يلجأ اليه الذين لا يريدون أن يشغلوا عقولهم

فاذا قام العلماء ونفوا وجود ما يخرجونه من نطاق بحثهم بطبيعة هذا البحث ، وجب ان لا نقبل قولهم . ان قواها محدودة وحواسنا لم تألف الا المادة التي نشعر بها . ولا شيء غيرها نستطيع ادراكه . ان عضلاتنا وأعضائنا صالحة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها . هذا هو جهازنا لحياتنا الأرضية وما تاريخ الانسان الا اخبار ما فعله بهذه القوى اليسيرة التي اعطياها



بالمادة يعرف كل منا بوجود الآخر وبها تتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا ، إما بحركات تموجية كما بالكلام والفناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والنصوير . فننخاطب كذلك ونتفاهم . وقد ألفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وأمنالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وان كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة انتهاك لحرمه العلم من هنا ترى الأساس الذي يقوم عليه اعتقاد لدج في بقاء الشخصية ومخاطبة الأرواح فهو يقول ان الحياة والعقل يحتاجان الى أداة ، يظهران بها ، او يتجلبان فيها ، ولكن هذه الأداة لا يجب ان تكون مادة ، بل قد تكون الأثير نفسه ، وإذا فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادي محتمل ، وإن كنا لا نستطيع إدراكه بحواسنا ، ولكن بعضاً منا ممن أرهفت حواسهم يستطيعون ان يتبينوا أثر الشخصية في الأثير ، فيتلقون من الأشخاص الفاهيين الذين خرجوا من دائرة الوجود المادي الرسائل والابناء

كل هذا فرض جميل . وكل انسان اذا تخطى عهد الشاب والقوة يتوق اذا كان ممن يفكر في خفايا الحياة والكون الى أن يعرف ما وراء الموت . ويتوق كذلك الى الايمان ببقاء الشخصية وفي هذا الفرض من الناحية الفلسفية ما يكفي

ولكن موضوع مخاطبة الأرواح الذي عاجله السر او لفر لدج معالجة عملية ليس له بالفرض الفلسفي الا صلة ضعيفة . وهو منار لاختلاف الرأي بين أهل الرأي

والموقف المعقول يقضي علينا بالترام الحذر في الحكم . فكثير من الحقائق العلمية أنكرت في أول عهدها ثم ثبتت صحتها . وثمة طائفة أخرى من الحقائق العلمية ، لم نستطع كشفها الا بعد كشف وسيلة علمية جديدة كالجهر أو المرقب أو المطياف أو الأشعة السينية . ومن يدري ما يأتي به العلم في غدٍ من الوسائل الجديدة . فالأشعة الكونية مثلاً أقوى نفوذاً من أشعة اكس وأشد فعلاً وقد تسخر غداً أو بعد غد فتكشف لنا عن عوالم كانت خافية عنا لا تنا لم تلك الوسائل اللازمة لتبينها . ثم إن أساليب البحث الطبيعي ليست كل الأساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق . فاذا شئت أن تتكفي بما تبثه الوسائل العلمية المعروفة ، والامتحانات والتجارب التي قام بها رجال منزهون عن الهوى . استطعت أن تقول أن مخاطبة الأرواح لم تثبت بعد . ولكن ليس في العلم ما ينفيها . لأن العلم لا يستطيع أن ينفي . الا اذا أحاط بكل شيء واستقرأه استقراء شاملاً

واذا شئت ان تنظر نظراً فلسفياً فلك أن تعتقد مع السر الفر لدج انه رغم الخداع والانخداع الذي يخاطب أعمال الوسطاء يقتضي انساق النظرة العلمية الفلسفية التي بسطناها ، بقاء الشخصية بعد انحلال الجسم المادي ودوام تأثيرها في الأثير المالىء رحاب الكون



# تاريخ التقويم المصري

والاحتفال بعيد النيروز أو النوروز  
أو رأس السنة المصرية

للملصالح محمد

احتفل قبط مصر برأس السنة المصرية الزراعية الجديدة فودعوا فيه عاماً ماضياً حافلاً  
بجلال الأمور واستقبلوا عاماً جديداً يرجون فيه أن يكون عام خير على الأمة المصرية جماء  
وهو عام ١٦٥٧ للشهداء الأبرار

وقد طلب مني كثير من اخواني أن أكتب كلمة في تاريخ وضع التقويم المصري الزراعي  
وفي كيفية الاحتفال بيوم النيروز أو رأس السنة المصرية القديمة فليت الدعوة ووضعت المقال  
الآتي مستعيناً فيه بما كتبه رجال العلم والتاريخ وأخص بالذكر منهم العلامة الفاضل جرجس  
فيلوتاوس عوض وقد قسمت الموضوع الى قسمين

## القسم الاول

### تاريخ التقويم المصري

١ — وضع التقويم شعر أجدادنا المصريون في غابر الأزمان بالحاجة الى تقسيم الزمن  
لترتيب الأعمال حتى تكون الأشياء مرهونة بأوقاتها فالزارع يحتاج الى معرفة الوقت الذي يجب  
فيه أن يجهز أرضه للزراعة وان يختار الجو الذي يلائم زراعته والزمن الذي تتوفر فيه المياه أو  
تقل حتى يكون على بينة من نجاح عمله . وكذلك التاجر والصانع يحتاج الى معرفة الوقت الذي  
يناسب فيه توزيع بضاعته ومصنوعاته على المحتاجين اليها والوقت الذي يتمكن فيه من تحصيل ثمنها.  
وكذلك الحاكم يلزمه معرفة الزمان الذي يتوفر فيه المال لدى رعيته فيسهل عليه حياية العشور  
بدون اكراهها على بيع أملاكها ومقتنياتها . وبالأجمال رأوا منذ العصور الخالية شدة الحاجة  
الى هذا التقسيم لتكون أعمالهم مرتبة ترتيباً يحقق تقدم البلاد وتنظيم سير الأعمال ونجاحها . ففي  
بادىء الأمر رأوا أن الشمس روح الزراعة والنيل حياتها فبدأوا بحمل اليوم ( ليلة ونهار ) وحدة  
لقياس الزمن ومنعاً للغلط في حساب الأيام استعملوا الأسبوع ثم لاحظوا أن القمر يقطع دورته  
في نحو ٣٠ يوماً فأتخذوها شهراً . وحيث أن الوقت الذي يجمع بين فيضانين نيلين يشتمل على



نحو اثني عشر هلالاً جعلوا قوام السنة الزراعية اثني عشر شهراً أو ٣٦٠ يوماً واستعملوا هذا التقويم في بادىء الأمر الى أن لاحظ توت في العصر السابق للتاريخ ان الأسبوع غير كافٍ وان الاثني عشر شهراً هلالياً وان تكن جامعة تقريباً بين فيضائين الا أنها تنقص أحد عشر يوماً فلم يسعه سوى البحث عن ضابط ثابت بضمن ان تكون توقيعاتهم الزراعية لا تختلف في سنة عن الأخرى وقد توصل في أبحاثه الى الاهتداء الى ان نجم الشعرى اليمانية أسطح الكواكب الثابتة يظهر مقارناً للشمس وقت شروقها وغروبها في ابتداء زمن الفيضان النيل الذي عليه تتوقف حياة البلاد وثروتها فلم يبدأ من جعل ذلك الزمن بدء سنتهم وتأليف السنة من اثني عشر شهراً في كل منها ثلاثون يوماً يضاف اليها خمسة أيام تعرف بأيام النسيء فصارت السنة ٣٦٥ يوماً

وقد احتفظ المصريون لتوت بهذا الجميل فأطلقوا اسمه على الشهر الأول من السنة كما أنهم دعوا نجم الشعرى اليمانية بنجم الالهة إيزيس

٢ — (التعديلات التي أدخلت على التقويم) واستمرت مصر على استعمال هذا الحساب ولكن رئي أن حساب السنة المتقدم ينقص ربع يوم فاتفق فلكيو مصر على جمع تلك الأرباع في مدى ١٤٦٠ سنة ليستكون من المجموع سنة كاملة وقرروا اسقاطها من حساب التاريخ وكانوا يحفلون عند تكامل هذه السنة باقامة الأفراح والمسررات ليلاً ونهاراً فيعم السرور جميع أنحاء البلاد واستعمل التقويم على هذا الأساس الى السنة الخامسة من حكم أغسطس قيصر أي في السنة الخامسة والعشرين قبل الميلاد فبدلوا حساب السنة القديم بالسنة المربعة أي المؤلف من ٣٦٥ يوماً وربع يوم التي رتبها الفلكي المصري سيسينوس المعروف عند الأفريج باسم سوزيجين (Sosigène) الاسكندري واستمروا في استعمال هذا التقويم المعدل الى يومنا هذا ومع ان علماء الفلك المصريين لاحظوا وجود فرق يسير في هذا الحساب المعدل أيضاً الا أنهم لم يتمكنوا من اصلاحه بسبب الحوادث التي حلت بالبلاد وأفقدها استقلالها حينما احتلها الأجانب الذين اضطدوا أهلها وعلماءها

ومما تقدم يتضح ان المصريين الأقدمين هم أصحاب الفضل الأول والسبق على سائر شعوب العالم وأهمه في تقسيم الزمن وضبط حسابه بدقة متناهية كما شهد لهم بذلك أقدم المؤرخين وهو أبو التاريخ هيرودوتس الانغريقي

وإذا تأملنا تقسيم السنة وجدنا أنهم راعوا فيها مصلحتهم الزراعية فجعلوها ثلاثة فصول كل فصل يحتوي على أربعة أشهر أولها الفصل الزراعي ويتألف من توت وبابه وهاتور وكيهك. وثانيها فصل الحصاد ويتألف من طوبه وأمشير وبرمها وبرموده. وثالثها فصل الفيضان



ويتألف من بشنس وبؤونه وأييب ومسرى وأيام النسيء . ولذلك عرفت حتى وقتنا هذا بالسنة الزراعية وعليها يعتمد الفلاح في فلاحه أرضه وحساب سنته الزراعية وعقود إيجاراته

### القسم الثاني

#### تاريخ الاحتفال برأس السنة

١ — الاحتفال برأس السنة في العصور الوثنية والمسيحية كان المصريون القدماء في العصور الأولى يحتفلون برأس السنة احتفالاً وطنياً فخماً يشترك فيه الأمير والحقير والغني والفقير وعلى رأسهم ملك البلاد فيودعون فيه عامهم المنصرم ويستقبلون عامهم الجديد ويأملون فيه البين والاقبال ويتمنون فيه للنيل فيضاً غالياً يروي البلاد وينمي غلتها ويكثرها وقد ألبس الكهنة عيد رأس السنة المصرية حلة دينية فنادوا بتأليه توت مبدع التقويم المصري القديم وتأليه النيل مصدر حياة الأراضي المصرية التي تسمو زراعتها بفيضانه وتكتسب تربتها الخصب بطميه ولا غرابة في ذلك لأن مصر هي هبة النيل وكان الملك برأس الاحتفال في عاصمة القطر وكان الحكام برأسونه في الأقاليم وكانوا يديحون فيه للرعية الحرية النامة ويقبضون معهم المسرات بلا فارق بين حاكم ومحكوم وكان في حالة تعذر قيام الملك أو حاكم الأقليم بتولي رئاسة الاحتفال ينوب عنه رؤساء الأحيار وكان يتألف الاحتفال من موكب برأسه الملك ويقف حوله ثلاثة عشر كاهناً يحملون أعلاماً عليها رموز الآلهة ورسومها المختلفة ويسير موكبهم داخل الهيكل في المعابد وكان يشترك في الاحتفال الرجال والنساء والأطفال معاً حيث كان يسمح باختلاط الجنسين اللطيف والنشط معاً لأن الرقي الاجتماعي بلغ في تلك العصور القديمة أعلى الدرجات وبالأجمال كانت احتفالات رأس السنة في عصور الفراعنة جامعة بين البهاء والعظمة والسرور والغبطة فكان المصريون يستقبلون أول توت طليعة عامهم الجديد بكل بشر وإنشراح متوسمين فيه كل خير لزراعتهم التي تتوقف حياتها على الفيضان النيل حتى كان كهنتهم يقدمون الجواهر سنوياً من هيكل أنس الوجود بجزيرة فيلة جنوب جزيرة أسوان قرباناً للنيل في هذا العيد واغتباطاً بحلول يوم رأس السنة الجديدة الذي يعتبرونه عيداً وطنياً عاماً واستمرت كذلك الاحتفالات بعيد رأس السنة في عهد البطالسة والرومان بل ازدادت في عهدهم عظمة وبهاء فأقاموا معبد دندره وخصصوا فيه هيكلًا عظيماً حاوياً اثني عشر عاموداً رمزاً لشهور السنة للاحتفال فيه برأس السنة احتفاءً بظهور كوكب الشعرى المانية وجعلوا له محراباً



خاصاً في وسط الهيكل الكبير وخذلوا الاحتفالات بتصويرها نقشاً في السقوف والحوائط  
أما في العصر المسيحي فكانت الصلوات والابتهالات تقام بالكنائس والديارات كما كان يقوم  
رهبان دير أبي مقار ببرية شبهات بوادي النطرون باحتفال ديني يقصدون فيه ماء موضوعاً في  
قدر كبيرة يطرحونها في النيل كما كان يفعل كهنة العصر الوثني من القاء بعض الجواهر في النيل  
ليفيض ماؤه بغزارة لارواء البلاد

٢ — (تهمة باطلة) وقد نسب مؤرخو العرب بعد الفتح العربي بزمان كبير الى المصريين  
امر تقديم احدى بناتهم سنوياً قرباناً للنيل كما نسب بعضهم اليهم ذبح امرأة سميكة يوم الاحتفال  
وهذه رواية لا حقيقة لها لان ديانة المصريين القدماء ليس فيها ذبايح بشرية كما ان الديانة  
المسيحية وهي التي كانت ديانة البلاد وقت الفتح العربي تحرم القرايين الآدمية ولو كان لهذه القصة  
ظل من الحقيقة لرواها هيرودوتس أبو التاريخ الذي زار مصر وشاهد فيضان النيل واشترك  
في حفلات النيروز ولم يترك شيئاً من مشاهداته في مصر الا دونته في تاريخه حتى أتته الأمور  
وكذلك لم نر شيئاً عن ذلك في تاريخ تيودور روس الصقلي، وسترابون وغيرها من علماء التاريخ  
الذين زاروا مصر واختلطوا بأهلها ودرسوا عاداتهم وديانتهم واشتركوا في حفلاتهم فضلاً عن  
ان المرأة المصرية كانت لها في الهيئة الاجتماعية منزلة ممتازة تغبط عليها وكانت موضع الاحترام  
والتبجيل وكانت القوانين المصرية تحميها وتحترم حقوقها وتحرم بيعها فلذلك لا يشك احد في ان  
المصريين أبرياء من هذه الوصمة التي نسبت اليهم . وقد ذهب بعض العلماء الى ان خطأ مؤرخي  
العرب نجم من عدم فهمهم لكلمة عروس وهي اسم لاحد الآلهة من حماة النيل وذهب البعض  
الآخر الى انهم لم يدركوا كنهه القرايين التي كان يقدمها كهنة هيكل أنس الوجود ولا المفزى  
المقصود من قدر المياه المباركة التي كان يقدها رهبان أبي مقار ويلقونها في النيل يوم النيروز  
ليبارك الله في مائه . وأما مصدر رواية القرايين البشرية فهو أن بعض القبائل الهمجية في  
السودان كانوا يلقون في حفلات الزفاف بعذراء في النهر ورآها العرب عند غزو هذه البلاد

٣ — (الاحتفال برأس السنة عند الفتح العربي) لما فتح العرب مصر واستتب لهم حكم  
البلاد لم يبدل القبط شيئاً من احتفالاتهم الوطنية والدينية بل حافظوا عليها محافظة شديدة  
واستمروا على إحياء عيد رأس السنة والاحتفال به سنوياً حتى ان الخلفاء لما رأوا منهم ذلك  
الاستمساك بأعيادهم القومية لم يسعهم سوى الاشتراك معهم في هذه الأعياد . وكان الخلفاء  
الفاطميون يتخذون هذه الأعياد والمواسم أعياداً رسمية برأسون احتفالاتها ويمنحون فيها العطايا  
والهبات ويوزعون السكاوي الفاخرة والحلي الثمينة والفاكهة والحلوى وقد روى المقرئ في  
خطبه ما يؤيد ذلك إذ قال « وكان النوروز القبطي في أيامهم (أيام الخلفاء) من جملة المواسم



فتعطل فيه الأسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسأهم والرسوم من المال وحواييج النيروز»

وكان من عادات المصريين في هذه الأعياد إشعال النيران والتراش بالماء ولكن أمير المؤمنين المعز لدين الله منع في سنتي ٦٩١ و ٦٩٢ للشهداء إيقاد النيران ليلة النيروز وكذلك صب الماء يوم النيروز على ما رواه ابن زولاق. وقد وصف القاضي الفاضل والقلقشندي وابن المأمون وابن اياس وعلي باشا مبارك عظيمة الاحتفال بالنيروز في عهد الخلفاء الفاطميين وما كان يقدم فيه من الهدايا والعطايا والفاكهة والحلوى ملخصاً فيما يلي : —

كان يجتمع في ذلك اليوم السواد الأعظم من عامة الناس ويقيمون عليهم أميراً يسمى أمير النيروز فيسيرون في الطرقات تحت إمرته ، ويقفون على أبواب الأكاير من أعيان الدولة فيقرر هذا الأمير على كل عظيم أو أمير مبالغ يحصلونها منه وكل من امتنع عن الدفع «بهلوله» مها يكن مقامه وسبوه سباً قبيحاً ولا يرحون بابه حتى يأخذوا منه ما تقرر عليه غصباً واقتداراً وكانوا يغنون في الطرقات ويتصافون بالانطاع والأخفاف ويقطعون على الناس الطريق ويمنع الخروج في هذا اليوم الى الأسواق وتغلق فيه أسواق القاهرة ودكاكينها وكل من ظفروا به في الطرقات «بهلوله» بغض النظر عن علو مكانته وسمو مركزه فيرشونه بالماء القذر وبرجمونه بالبيض وكان الناس يتجاهرون بشرب الخمر وكثرة الفسق وكانت تقدم الكساوي الكثيرة من شقق ديقية مذهبات وحرريات ومعاجر (لباس نسائي) وعصايب نسائية ملونات وشقق لاز مذهب وحرير ومسفع وفوط ديقية وتوزع على الجميع بلا فارق بين القبط والمسلمين من رجال القصور ودور الوزارات والشيوخ والأصحاب والخواشي والمستخدمين ورؤساء المراكب ولم يكن لأحد من الأمراء في ذلك نصيب

وكان يحمل لأكاير مصر من القبط والمباشرين من أصناف الفاكهة الرمان وعراجين الموز ومشنات السفرجل والتفاح الشامي وقفف اليسر وأقفاص العنب والتمر القوسي والبطيخ الصيني والرطب والخوخ المشعر وقدور الهريسة المعمولة من لحوم الدجاج ومعها بطط السجلاط وصحون الحلوى القاهرية وغير ذلك من الأنواع اللطيفة وكانت هذه الأصناف تفرق أيضاً على الأمراء ورجال القصور والوزراء والمستخدمين والحجاب وأرباب الحرف وكان يرصد لذلك من أموال الدولة أربعة آلاف دينار ذهب وخمسة عشر ألف درهم فضة

واستمر الحال على ذلك الى أيام حكم السلطان برقوق في آخر الحيل الرابع عشر الميلادي فأبطل هذه العادات في نيروز سنة ١١٠٠ للشهداء ومنع من لعب النيروز وهدد من لعبه بالعقوبة فكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يقصدون الخلدجان والبرك ومواقع التزهة



في يوم رأس السنة واقصر وافية على رش الأمواه والنصافع كما سمح بايقاد النيران في المنازل الخاصة دون الطرقات

ويتضح جلياً مما تقدم ان القبط والمسلمين كانوا يحتفلون بموسم النيروز حتى رتبت لهم خزينة الدولة كساوى وهدايا مخصوصة وان السفلة والرعاع من المحتفلين به كانوا يتظاهرون بأمر مشينة كما يحدث الى الآن في الموالد والمواسم والاعياد وان عمل هؤلاء السفلة دعا أولياء الأمور في نهاية الحيل الرابع عشر الى ابطال الاحتفال به رسمياً ومنع اشتراك الحكومة باحيائه واكتفى باحتفال جبر الخليج

ورغم المنع الذي حدث في آخر الحيل الرابع عشر لم يغير اهل البلاد من قبط ومسلمين عاداتهم التي ورثوها عن أسلافهم فكانوا يحتفلون بالنيروز فيماخذون اولادهم ومواسيهم الى النهر والترع للاستحمام وينقلون من مأماً الى دورهم للتبرك واكتفى القبط بأقامة الصلوات والابتهالات في الكنائس والتزاوير بينهم في المنازل وتبادل هدايا البلج والرمان

وكان معلمو كتاتيب القبط وقد كانت المدارس الوحيدة في البلاد يوزعون على التلاميذ اوراقاً رسمت عليها الصلبان المزخرفة وصور القديسين والملائكة داخل اطارات من الأشكال البركارية ملونة بألوان زاهية وكان يطلق على هذه الأوراق اسم النيروز فيقوم آباء التلاميذ بكافاة هؤلاء المعلمين كل بقدر استطاعته

وكان اطفال كل حي يطوفون بدور الاكابر والاعيان في حيهم وينشدون أناشيد الفرع بالعيد وبوفاء النيل قائلين (البحر زاد عوف الله وغرق البلاد عوف الله الخ) ثم يدعون لأصحاب الدور بالحير فينفخونهم بنقود أو حلوى أو كساوي ولا تزال آثار ذلك باقية للان في القاهرة في الاحياء الوطنية . واستمر الحال كذلك الى ان تولت الجمعيات القبطية في آخر الحيل التاسع عشر احياء الاحتفال بهذا العيد وعلى رأسها جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة التي استمرت منذ تأسيسها الى الآن تقيم حفلة النيروز وكان الفضل في تجديد الاهتمام بالعيد للمرحوم تادرس بك شنوده المتقادي واخوانه بأسبوط

وحبذا لو ان حكومتنا السنية جعلت عيد جبر الخليج في يوم النيروز حفظاً لذكرى هذا العيد القومي واحتفاء بالسنة الزراعية الجديدة وفيضان النيل في وقت واحد

واختتم كلمتي بتكرار التهانى لحضرات القراء الكرام بهذا العيد السعيد أحياءهم الله الى كل عام مسرلين بحلل السعادة والهناء واسأل الله تعالى ان يكون هذا العام عاماً سعيداً مباركاً ميمون الطالع يرفرف فيه السلام على العالم ويزيل عنه كابوس الحرب وكربه ويحل السلام والوثام محل العراك والخصام انه السميع الجيب



## سلام

لقد انقضى النهار وأخذ الظلام يهوي من أجنحة الليل  
كأنه ريشة سقطت من جناح عقاب في أثناء الطيران  
أرى أنوار القرية تتلألأ من خلال المطر والضباب  
فيستولي عليّ شعور أسي لا تستطيع نفسي أن تصدّه  
شعور أسي وتوق لا يمت إلى الألم بصلة  
ولكنه لا يشبه الحزن إلا كما يشبه الضباب المطر  
أقربني لي قصيدة ، أو أغنية ساذجة صادرة من صميم القلب  
تسكن اضطرابي وتبدد هموم النهار  
لا تقربي من شعر الفطاحل ، ولا من المنشدين العلويين  
الذي يسمع صدى خطواتهم العاتية في أروقة الزمان .  
لأن أفكارهم الزاخرة القوية مثل إيقاع الموسيقى الحربية  
تبعث في الحياة حب الصراع والجهاد ، وأنا الليلة أتوق إلى الراحة  
أقربني لي من شاعر متواضع ، تفجرت أغانيه من قلبه  
كما تهمر الشايب من غيم الصيف أو الدموع من الجفون  
من شاعر ظل في أيام العمل والكفاح وليالي الاضطراب  
يسمع في قرارة نفسه موسيقى الألحان العجيبة  
أغاني يقرئ إلى هدوئها نبض الغناء الذي لا يستقر  
فتجنيء كالطائفة التي تتبع الصلاة  
ثم أقربني لي من أي كتاب نفيس ، الشعر الذي تختارين  
وأضفي إلى روعة قوافي الشاعر روعة صوتك الرخيم  
إذن يصبح الليل حافلاً بأصداء الموسيقى ، فتطوي متاعب النهار  
خيمتها ، كما تفعل العرب ، وتسلل في سكونية الظلام  
[ عن الشاعر الأميركي لونغفلو ]



# الدكتور

عبد الرحمن شهبندر

صفاته الفكرية والحلقية وحفلة تأييده

عندما شرع المقتطف في نشر فصول « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي » للدكتور عبد الرحمن شهبندر — رحمة الله عليه — في سنة ١٩٣٢ كانت شهرته في السياسة والخطابة والجهاد الوطني قد طبقت بلدان العرب واستفاضت الى ديار الغرب ، وغلبت على شهرته في الطب مع أن السياسة لم تحل دون تبعه كل جديد في فنه الأصل (١) . ولكننا لم نكن نعلم أنه حذق المباحث الاجتماعية وتعمق فيها لا حذق مطالعة وتعمق دراسة في الكتب فحسب بل حذق تأمل وتجربة كذلك . ولذلك كان كل فصل من تلك الفصول (٢) الرائعة يحلو لنا ناحية جديدة من الدكتور شهبندر وشخصيته الجامعة . وكان في معظم الأحيان يشرف إدارة المقتطف والمقال بيده فيجلس لا يشرب قهوة ولا يدخل لفافة يبسط الفكرة التي ينطوي عليها مقاله مميناً ما رأي علماء السياسة والاجتماع فيها ثم يوجز وجهة نظره الخاصة في تطبيقها على الشرق تطبيقاً هدفه الاصلاح العملي الموفق . وكان يأبى الا أن يصحح التجربة الأخيرة بنفسه فاذا كان التصحيح في مكتب المقتطف وهو الغالب فكل زيارة كانت تفسح مجالاً قبل التصحيح أو بعده للبحث في رأي طريف أو كشف جديد في العلم أو رغبة في الاصلاح . ولم يكن التفاته الى الحديث السياسي بحصر المعنى الا في الأقل الأندر ، مع أن التربية والصحة العامة والاقتصاد القومي وغيرها من موضوعات السياسة في أهم معانيها كانت دائماً في موضع الصدر من حديثه وعنايته

وكذلك ثبت لنا من مطالعة فصوله في « القضايا الاجتماعية » وسائر فصوله في المقتطف مثل « لورنس » و « منزلة الشعر في ارتقاء الأمم » و « الصلة بين الحاضر والماضي » و « فيصل بن الحسين » أنه سياسي عظيم على اعتبار ان السياسي العظيم يجب ان يكون مدركاً ادراكاً شاملاً لتسيج

(١) قال معالي الدكتور علي ابراهيم باشا في كلمته عن الفقيد « كان صديقي الطيب على درجة عالية من الكفاية في فنه » (٢) وقد جمعت في كتاب على حدة بعنوان « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي »



الحياة المتصل فاهماً فهاً دقيقاً التيارات الفكرية والاجتماعية التي لا يستطيع شعب أن يفلت من تأثيرها ولا أن يقطع صلته بها ، قادراً على التفكير تفكيراً أساسه المنطق والتجريد ولكن بغير أن يضحي بآمال الناس وأمانهم وحقائق حياتهم على مشرحة المنطق ومذبح التجريد ، زكناً يلح المغزى الأزلي في الشأن الحالي العابر ، والمعنى العام في القضية الخاصة ، أي يجب أن يكون طبيعياً اجتماعياً وزعماً روحياً بقدر ما يكون محامياً قوياً المعارضة وخطيباً مفوهاً وداهية في مناورات الأحزاب والهيئات

ذلك ان ما يفعله السياسي بأسمى ما في حروف السياسة من معنى ، هو شق المجاري العامة التي تنصرف فيها الحياة الزاخرة المضطربة بين الجوانح ، المتقدة في خلايا الأذهان ، المتحفزة للعمل . وهو لا يستطيع ذلك إلا اذا كان فاهماً نبيل مهمته ، متغلغلاً في قلوب الناس لاساً خوالجها ، معبراً عنها في أقواله وأعماله مصوراً لهم المثل القومية تصويراً يحفزهم للعمل ، شاعراً بالقوة التي رهن يديه وبالذعة في استعمالها . اي يجب ان يكون خادماً المصلحة العليا لا متحكماً فيها وفقاً لغرض أو هوى ، ناظراً الى المستقبل بغير أن تغيب عنه حقائق الحاضر ، منفذاً للضمير القومي لا خاضعاً لرغبة فرد أو حزب

ليس من السهل كتابة سيرة الدكتور شهنذر السياسية الآن . ولا نملك الوثائق الكافية للحكم على آرائه السياسية في موضوعات خاصة او عليها ، ولكن متى أتاح الزمان الفرصة لنشر الوثائق الخاصة بنهضة العرب في القرن العشرين ، ودرس نواحي شخصية الشهنذر المتعددة ، فلارب في ان التاريخ سيعين له مقاماً في طليعة منشئيه . فاغتياله وهو في غفوان قوته كمفكر وزعيم وطبيب، جريمة نكراء وفقدته خسارة كبيرة

وقد احتفل بدمشق احتفالاً قومياً عربياً رائعاً بذكرائه الاربعينية تليت فيها رسائل وفصول وقصائد من زعماء مصر والشام ولبنان والجزيرة العربية والعراق وأدبائها وشعرائها وقادة الرأي فيها ونشر منها في ما يلي كلتي الاستاذ عباس محمود العقاد ، والاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضة بجامعة بيروت الاميركية وهي المعهد الذي تلقى فيه الفقيه علومه العالية

« ونحن باللغة نصوّر حالات النفس ، ونرسل على سلكها أدق مشاعرنا الى أعماق قلوب غيرنا ، ونقنع الخصم ونهذب الطبع ونستفز الحمية ، وننشر العلم ونهدي الضال ونثير الطريق . واللغة رحي اجتماعية تطحن العناصر وتمزج بعضها ببعض ولولاها ما كان اتساق ولا انسجم رأي عام ، فهي هي أساس التشابه الاجتماعي الذي تبنى عليه الوحدة الوطنية وهي أداة التنظيم العقلي الذي يكسب الأمة ارادة عامة » ( القضايا الاجتماعية الكبرى صفحة ١١١ )



الشرق ومعرفة

١ - اقدار الرجال

للاستاذ النائب المحترم

عباس محمود العقاد

حضرات السادة الأجلاء : كتب فقيد الأمة العربية الدكتور شهبندر فصولاً شائقة عن لورنس<sup>(١)</sup> المغامر الانكليزي المشهور فلامه في بعض الفصول لوماً شديداً — لأنه سلب «السلطان صلاح الدين الأيوبي الهدية الوحيدة التي تذكرتها أوربا لأعماله الخالدة بعد ما نسبتها ثمانية قرون كاملة . وهذه الهدية هي إكليل من الذهب قدمه الامبراطور غليوم يوم زيارته دمشق من نحو الجليل وقد حفر عليه بخط عربي ميين . إن الله يحب المحسنين . وفي سرقة الأموات طار ليس في سرقة الأحياء »

فهل خطر في بال الفقيه وهو يكتب هذا الكلام أنه سيرقد رقدته الأخيرة في ذلك الضريح الذي غضب له ذلك الغضب وغار عليه تلك الغيرة ، وأنه سيعحوطه برفانه وذكري حياته كما يحوط الحارس الأمين صاحب التاج في عالم الفناء

لو كان الأمر مما يفسر بالنظر البعيد لحاز ان يقال أنه بعد نظر من الحكيم العليم ، لأن هذه الصفة النادرة كانت من أوضح صفات شهبندر رحمه الله . فلا يصحى إليه جليسه لحظات معدودات حتى يتبين من كلامه وسياق عباراته — دلائل الأناة والتبصر ووزن الوقائع وسبر الأغوار . وربما عز على بعض الناس ان يوقفوا بين هذه الصفة الواضحة فيه وبين اقدامه وطموحه الذي يشبه لهم صفة المهجوم وقلة المبالاة ، أو صفة الخيال والجروح مع الأحلام . ولاداعي للاشتباه في الحقيقة لان معرفة الواقع لا تقتضي الرضي به والاستكانة اليه بل قد يعرف المرء ليعرض عنه ويتخطاه ويحاول تبديله ، فيلوح لمن يراه كأنه ينسى الواقع ويتعلق بالأوهام وهو في صميم الأمر عليم بالواقع لا يجهله ولا ينساه ولكنّه يجترى عليه لأنه قد أوتي من النشاط الحيوي ما يدفعه الى الحركة وينأى به عن السكينة والاستقرار . وكذلك كان الدكتور شهبندر رحمه الله ممن يتمرّدون على الواقع علماً به لا غفلة عنه وهو مع ذلك مطبوع على التبصر والأناة وسبر الاغوار

وقد اجتمعت له أسباب ذلك من فطرته ومن تربيته ومن تجارب حياته فهو بفطرته رجل أعمال لا يأخذ من الأشياء والحوادث إلا بمقدار ما يترجمه عملاً قابلاً للانفاذ والانجاز ولا يمنع هذا ان يكون انجازهم مقروناً بالمشقة والاقدام وهو بتربيته قد نشأ على المعرفة الادبية والمعرفة العلمية فلا هو محصور في معمل التحليل ولا هو مشغول بالألفاظ ولكنّه رجل يعيش في حومة الدنيا بدقة العالم وأريحية الأديب ،



ويهندي بمستشارين أحدهما صارم صرامة العلم وثانيهما جزل جزالة الأدب ويندر أن يغلب عنده أحد المستشارين على أخيه

أما تجاربه فمن ذا الذي يصاحب القضية العربية ربع قرن ولا يخرج منها حافل الوطاب بتجارب الجماعات والأفراد، ومن ذا الذي يلقى الموت مرات ولا يعلم ما هي الحياة، ومن ذا الذي يلبس الناس في أيام القلاقل والنواهض القومية ولا يعرف مدى الأمل والقنوط، وغاية الهمة والطموح وغاية الاسفاف والركود، ومن ذا الذي يكون عريئاً حقاً في الجبل الا خير ولا يكون انساناً حقاً بصيراً بما في العالم الانساني من أخلاق ونزعات وحركات وأطوار؟

ولست أدعي حق الحكم على سياسة الفقيه الكبير في الشؤون العربية فلست على علم وثيق بتفصيلاتها في مختلف الأدوار. ولكنني أرى في ما قرأته له أو سمعته منه في شؤون السياسة والاجتماع مثلاً في السداد وحسن التقدير

فمن أصدق الموازين للحمية الوطنية قوله ان الاستقراء قد دلني « في الشرق والغرب على أن معيار حب الاستقلال في الأمة انما يكون على قدر حرمتها للفقير وسعيها لتقانها. وان الذي لا يفار على لفته لا يفار على أمته » (١)

فهذا ميزان للوطنية لا نعرف ميزاناً أصح منه في الدلالة على الوطنية الصحيحة. فان حب الوطن بمعنى حب المكان خصلة يشترك فيها الانسان والحيوان. أما الوطنية التي تتعلق بالروح والعقل والضمير فتلک هي وطنية الانسان الناطق او وطنية اللغة التي تجمع له زمانه ومكانه في ماضٍ وحاضر ومستقبل منظور

ومن الصواب البين دعوته الى التجانس بين العرب في الثقافة والشؤون الاجتماعية، فان التفريق في العادات والأفكار حال لا تتحقق معه الوحدة والاتحاد

ورأيه في المرأة نعم الرأي الحكيم الذي لا يجاري شطط الغرب ولا نكوص الجامدين. وكان صريحاً في هذا الرأي سواء ما كتبه في مقالات أو تحدث به في كلامه. ولكنه كان ينحو

نحو الفكاهة في أحاديث المجالس فلا يسلم من لسان حواء في بعض هذه المساجلات قال مرة لسيدة ذكية في معرض الدعاية ماهذه الأساور والخلاخيل في ايديكن وأرجليكن

الآن أن تكون بقية من بقايا العبودية في طباعكن معشر النساء

فقاتل السيدة وهي تنظر الى رباط رقبته. وما هذا الرباط في رقابكن الآن يكون بقية الجبل

الذي جررتن به قديماً معشر الرجال

وكان على الجدل الذي اتصف به رحمه الله يزع مثل هذا المزاح في مجالسه بين الأصحاب والأدباء وله من ذلك طرائف يتحدث بها عارفوه



وقد كان آخر عهدي به ان لقيته باحدى المكتبات في القاهرة فسألني عن مصر وسألته عن الشام كيف يسلك اهلها في المحنة الحاضرة — محنة الحرب الاوربية التي توشك أن تنقلب حرباً عالمية لا ينجو منها موضع ولا قبيل

قال ان العقلاء يعرفون الحقيقة ويدركون ان انتصار الحرية خير للقضية العربية من انتصار الدول التي لا تؤمن بحق الحرية لشعوبها فضلاً عن الشعوب الشرقية وبدأ عليه الام وهو يقول « يا أخي : هذه الدول سرطان ومنذا الذي يتعنى السرطان ولو كان يشكو ذات الرئة » قلت يا دكتور طبيب حتى في السياسة ! فكيف العلاج ؟ فابتسم ابتسامة حزين وقال : ربنا يلطف . . . . . وكان هذا آخر عهدي به ، حتى سمعت بنعيه بين الشك واليقين ، ثم غلب اليقين كما تغلب اخبار السوء في كثير من الأحيان

يا للعجائب في هذه الدنيا . . . . . أما إنجاب الرجال الأفاضل فشيء نعي به جهود الام وأما القضاء عليهم فشيء تستطيع شرذمة من الطغام سبحانه اللهم لك فيما تريد حكمة . ولعل من حكمة هذا المصائب ان يعرف الشرق أقدار الرجال

## ٢ — نشأته الفكرية والحلقية

للعامة منصور جرداق

استاذ الرياضة العالية فيها

في جامعة بيروت الاميركية

في أواخر القرن الماضي دخل الكلية السورية الانجيلية بيروت (الجامعة الأميركية الآن) شاب طويل القامة متين البنية اسمه عبد الرحمن صالح شهنيد تلوح على محياه علامات الذكاء والنباهة واللطف والوداعة ودماثة الأخلاق . وشاعت الأقدار أن ينضم الى صفنا فسرنا معاً في الدائرة العلمية واتفقنا في تموز ( يوليو ) ١٩٠١ نائلين معاً رتبة بكالوريوس علوم ثم غاب سنة استجاءاً للقوى ورجع عبد الرحمن الى الكلية ودخل الدائرة الطبية حيث صرف أربع سنوات ونال صيف ١٩٠٦ رتبة دكتور في الطب

وبما أنه كان الأول في صفه وتمتازاً في دروسه فقد عين بموجب القانون خطيباً عن صفه وطبيباً للمدرسة عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ وهكذا تسنى لي أن أصعبه مدة تسع سنوات كنا في خلالها صديقين حميمين مجتمعا حب المعرفة والدرس والفلسفة والرغبة في خدمة الوطن خدمة صادقة شريفة بخدمة زهرة الشبية وتهذيبها وتثقيفها ونشر العلوم الصحيحة بين أفراد الأمة وتسهيل تحصيلها للتابعين ولذلك انتظمتنا في سلك « جمعية تهذيب الشبية السورية » التي كان قد أنشأها طلبة الكلية لتلك الغاية السامية كما تشهد تقاريرها السنوية المحفوظة في مكتب الجمعية لقد كان عبد الرحمن مثال التلميذ النجيب بمجده واجتهاده وذكائه ونباهته وحدة ذهنه



ومثابرتة على الدروس والمطالعة وانصرافه بكليته الى واجباته المدرسية والقيام بها خير قيام وطاعته التامة للقوانين لأنه كان يقدس الواجب ولا يتهامل في شيء مهما يكن زهيداً وطيفاً عملاً بالمثل القائل « التقصير في الأمور الزهيدة نقص يحرم المرء ويصدّه عن الوصول الى درجات الكمال ». أضف الى ما ذكر ذاكرة قوية وسرعة خاطر وخيالاً فسيحاً خصبياً وتصوراً سامياً دقيقاً وذوقاً سليماً وطموحاً شريفاً للتفوق وهمّة عالية وارادة قوية ورغبة عظيمة في النظر والتقصي والتدقيق والتحليل والجمع — صفات رجال العلم في كل عصر ومصر

ناهيك بتضلعه من اللغة العربية واطلاعه الواسع على تاريخ آدابها وتاريخ أعلامها ومعلوماته النفيسة فيما يتعلق ببيانها وبلاغتها وفصاحتها ولهذه الأسباب ولاجل شخصيته الممتازة انتخبته الجمعية العلمية العربية بأكثرية ساحقة ليكون خطيبها الاول في احتفالها السنوي سنة ١٩٠١ دون ان يسعى اليه أو يكلم تلميذاً ليؤيده في الانتخاب . وكذلك اختارته عمدة الكلية وهو تلميذ في الدائرة الطبية ليمثل المدرسة تمثيلاً رسمياً بالترحيب بخليل باشا والي بيروت والصدر الأعظم سابقاً في أثناء زيارته الرسمية للكلية بالمتنّدى الكبير وقد كان لخطبته وقعٌ جميل في نفس الوالي بما حمله على بذل الجهد لتخليص عبد الرحمن من النفي الى فرّان بأفريقية بسبب وشاية من أحد جواسيس السلطان عبد الحميد في ذلك الحين

أما صفات الفقيد الأدبية وأخلاقه فقد كانت سامية جداً في نظر التلامذة والمعلمين والأسانذة لأنه كان صادقاً نزيهاً عفيفاً متزناً طائعاً للقانون بعيداً عن التعصب الدميم يؤمن بإخاء البشر ومساواتهم في الحقوق والواجبات ويسلك بموجب ما يعتقد ، تزبته الوداعة والتواضع والأنس ولين العريكة والشمم والاباء وعزة النفس وسخو المبادئ ورحابة الصدر وكرم الأخلاق يُسلم الزكيّ النبيه ويحفزه للسير نحو العلاء ، يتقد غيرة وحماسة ويفيض وطنية ومحبة للجميع لا اعتقاده الراسخ ان الأمة كالجسم الحي ولكي تكون نظيره صحيحة سليمة يجب ان تستفيد من قوى جميع أفرادها والاّ تُسكب بالحسارة ومنت بالافلاس وكان مصيرها الضعف والاعطاط والتأخر والموت والزوال

هذه صفات الفقيد العقلية والأدبية التي بني عليها زعامته وخدمته للامة والوطن وقد كنت أود أن يتسع لي الوقت لأورد ولو باختصار ما كانت تيمّش به نفس الفقيد الكبيرة وهو تلميذ في الكلية من آراء ونظريات وآمال لرفي الأمة وتقدمها وسعادتها والخطط والوسائل اللازمة للنهوض بالوطن من كبوته والوصول بالشعب الى المسكنة التي يجب ان يتبوأها ليقوم مرة أخرى برسائله السامية الثقافية والروحية بين أُمم الأرض وشعوبها كما حدث قديماً وقت الفتح العربي الاسلامي



## صورة ...

وسرب من الاشجان - يُطوى له الحشا  
على شرق - من يلقه يتبدل  
بعث الى خلائهن تحية  
بالحظ ابصار شواهد جسد  
فلما اشرأت صبوة ، ومشى الهوى  
بهن وخيفت ، بوحه المتجد  
صفحن قياماً ، فاستقلت نحرها  
بمنقذة عنها الجلايب همد

[ لمسلم بن الوليد ]



# الغذاء والحياة

بحث جديد في أسرار الفيتامينات<sup>(١)</sup>  
وصلتها بالأمراض والأغذية التي تتوافر فيها

لعوض جندي

أدرك البشر منذ قرون ان بعض العاهات الطبيعية والأمراض البشرية ، يتاح اتقاؤها أو علاجها ، بأكل أطعمة خاصة، فكان قدماء المصريين والصينيين مثلاً ، يعرفون قبل الميلاد بخمسمائة سنة وألف ، ان الإفراط في التعذي بأكباد الحيوانات يحسن حالة الاعشاء . على حين أن العلم الحديث لم يكشف هذا السر إلا قريباً ، إذ ثبت لنا ان فيتامين ( A . ١ ) الذي في أكباد الحيوان ، صالح لمداداة تلك الآفة البصرية التي يمتنع بها أمرؤ قلعما يتناول الأكباد في غذائه وفي الأطعمة ما لا يقل عن خمس مواد مختلفة، تستطيع تموين الانسان بفيتامين ( A . ١ ) . أربع منها صبغات صفراء تذوب في الشحوم وقلما تذوب في الماء . وتسمى هاتيك الصبغات أحياناً بيوادر فيتامين (١) لأنه يتحول اليه . أما خامستها ففيتامين (١) نفسه . وتبدو الصبغات الصفراء المسماة كروتينويدات carotinoids ، بلورات صفراء تقالية اللون دقيقة كالابر . والجسم قادر على تحويلها الى فيتامين (١) . ثم إن الاسم الكيميائي «كاروتين» جزرين Carotene مشتق من كاروت Carrot جزر . والخضراوات الصفراء والخضر المورقة ، منابع غزيرة للكاروتينات لأن هذه المركبات تلازم اللون الأخضر في النباتات جميعها<sup>(٢)</sup>

والواقع ان اللون الأخضر او الأصفر علامة تقريبية دالة على كثرة الكاروتين (الجزرين) في الأغذية النباتية الأصل وكلما اشتد ذلك اللون وفر مقدار الجزرين في النبات أما فيتامين (١) نفسه فليس فاقع اللون وهو سائل كثيف سمي اللون ، عند ما تكون درجة الحرارة عادية ، وتوجد مقادير منه في جل الأطعمة الطبيعية الدهنية التي من أصل حيواني .

(١) ملخص فصول من « الكتاب السنوي الزراعي الاميركي » نشرت في مجلة « ملخص العلم » لمايو ١٩٤٠ . راجع مقالنا في معجزات الاغذية الكيميائية وتقدم المباحث الطبية في القدد والفيتامين المنشورين في مقتطفي نوفمبر سنة ١٩٣٤ واكتوبر سنة ١٩٣٥  
(٢) راجع « اللون في حياة النبات والحيوان » المقتطف ديسمبر ١٩٣٩



إذ تقوم الحيوانات بتحويل الكروتينات وأحد عناصر الأوراق الخضراء والحشيش وغيرها من أنواع العلف الى فيتامين (أ) في أجسامها

ويبدو بعض ذلك الفيتامين في أنساجها عموماً ولا سيما في الكبد والكلىتين ، وإلى حدٍ ما في شحمها . ويُعزى بعض نقص فيتامين (أ) في اللبن والمادة الدهنية في الزبد الى الكروتينات ، وبعضه الى فيتامين (أ) نفسه المحول في جسم البقرة من الكروتينات التي في علفها . وفي وسع البشر والحيوان احتزان مقادير كبيرة من فيتامين (أ) في أكبادها . ومن المفروض عموماً أن أكثر من ٩٠ ٪ من مجموع فيتامين (أ) الذي في الجسم البشري ، مُدخّر في الكبد ليستعين به على سدّ حاجته منه ، حينما يقل مقداره في الأغذية التي يقتذي بها المرء . فإذا ما نَفِد ذلك المُدخّر أو قارب ذلك ، ظهرت في الجسم عاجلاً أدلة ذلك النقص وأولى بوادرها العشا (١) وهو إن عيني الأعشى إذا تعرضت لضوء ضئيل ، عجزت عن التكيف وفقاً له بسهولة . ويبدو هذا العجز جلياً حينما يخرج الأعشى من مسرح ساطع النور، فتعجز عيناه عن التكيف وفقاً للنور الضئيل خارجاً ، أو على عكس ذلك عندما يدخل مسرحاً ضئيل النور بعد اجتياز مدخله الساطع النور وثمة إصابات من العشا لا يكون منشؤها نقص فيتامين (أ) . كما إنه يتولد من فرط نقص فيتامين (أ) أو التماضي في ذلك النقص ، ضعف عضلي وتغيرات في بناء بعض الخلايا البدنية وهي الخلايا المخاطية ، التي يتألف منها الغلاف الواقي لكل سطح من سطوح الجسد . ومضى وفمت تلك التقلبات في تكوين الخلايا ، عاقبتها عن قيامها بوظائفها على الوجه المروم . فيصحب الأدوار الأخيرة من ذلك النقص ضرب شديد من أمراض العيون

كان فيتامين (أ) يسمى أحياناً بالفيتامين المقاوم للعدوى . وتستعمل المقادير المكتشفة منه للوقاية من نزلات البرد أو علاجاً لها ولغيرها من الأدوية

وقد نشر حديثاً بعض نقات الأطباء تقارير في هذا الموضوع أنكروا فيها تأثير فيتامين (أ) في منع أمراض معينة لأن استمرار المرض في جسم ما أو زواله منه يتوقف على مجموعة من الظروف ويقتصر وجود فيتامين (أ) الذي من هذا النوع على الأطعمة التي من أصل حيواني . وأغزر مصادره الطبيعية ، أكباد الحيوانات المختلفة الأنواع وبعض طوائف السمك . ويحتوي بعض الأغذية الحيوانية الأصل على فيتامين (أ) وعلى الصبغات الصفراء (الكروتينويدات) التي تتحول إليه ومن هذه الأطعمة اللبن والزبد والحين والبيض ومحمّ

(١) العشا — مقصورة — سوء البصر بالليل والنهار كالعشاوة أو العمى night-blindness وعشى كُرْضِي وعشى وهو عشى وأعشى وهي عشواء ، والعشا تشويه خلقي أو شذوذ غير طبيعي يجعل العيون أضعف تكيفاً بالعمّة



وتتباين مقادير فيتامين (أ) في اللبن وما يصنع منه كل التباين وفقاً لمقدار ذلك الفيتامين أو الكروتين في علف البقرة نفسها . ففي فصل الصيف حيناً يعلف البقر بمقادير وافرة من الحشيش الأخضر الناضر ، يزيد مقدار فيتامين (أ) في لبنه عليه في فصل الشتاء وتحوي أغلب الفواكه المألوفة بعض الكروتين . وكذلك الخضراوات المورقة خضراً وصفراً تعتبر مصادر فائقة للصبغات الصفراء الفعالة في فيتامين (أ)

وفي الخضراوات ذات الاوراق والرؤوس مثل الكرنب والخس تغزر مادة الكروتين «الجزرين» في الاوراق الخضراء الخارجية أكثر منها في اوراقها البيضاء الداخلية . ومن مصادر الجزرين «الكروتين» الفائقة ايضاً ، الجزر الأحمر والأصفر والبطاطا الصفراء اللب والطاطم الناضجة

ويقدر ما يحتاج المرء اليه يومياً ان كان من بالغى سن الرشد الأسوياء الخلق ، من فيتامين (أ) بمقدار يعادل ما يوجد في ثمن جالون من اللبن الكامل وبيضة واحدة وثلاث أوقية من الزبد ومقدار متوسط من الخضراوات المعروفة صفراً كانت أو خضراً . وليس محتملاً استفاد هاتيك الأغذية عنها ليحصل منها المستهلك على حاجته من فيتامين (أ) لأن هناك أطعمة شتى غيرها ، تسد مسدها ، في تمويثنا بفيتامين (أ) المبتغى

\*\*\*

والفيتامين الذي ألفنا تسميته بفيتامين (ب) تبين حديثاً أنه مركب من فيتامينات متعددة ، ومنها الفيتامين ، المعروف الآن بفيتامين (ب) رقم ١ وفيتامين (ج) G او الريبوفلافين . أما فيتامين (ب) B القديم فيسمى الآن عموماً باسم فيتامين B (ب) المركب وفيتامين (ب) رقم ١ لا يمكن تركيبه كيميائياً على نمط تركيبه بالوسائل الطبيعية الجارية في الجسم البشري ، فلا بد من تمولن الانسان به عن طريق طعامه . ويلوح أن لهذا الفيتامين شأنًا عظيمًا في قدرة كل خلية حية في الحيوانات الدنيا والنباتات وفي الجسم البشري أيضاً على تمثيل الطعام . ولا غنى عنه لنمو الحيوانات جميعها نمواً طبيعياً ولتكوين الحثائر ونمو النباتات السامية الرتبة . وفي وسع النباتات صنعه وادخاره في بذورها ولا سيما في أجنتها

أما في جسم الانسان فان فيتامين (ب) الفذائي يتولد من أغذية شتى لا تشمل الا على مقادير يسيرة منه ، فاذا ضؤل مقدار فيتامين (ب) في غذائنا عن درجته المعتادة المرومة كان مبعث نقصه ظروفاً استثنائية . فاذا افتقر الجسم في غذائه الى فيتامين (ب) ، أصيب بالمرض الذي ينم على ذلك النقص وهو البري — بري<sup>(١)</sup> . وهو داء واسع الانتشار

(١) البري بري Beriberi نوع من الاستسقاء العام مصحوب بفقر دموي وتعمل أو شلل في الاطراف السفلى وهو مرض ممد يظهر بشكل حاد او مزمن في الهند واليابان وسيلان ... [مجمع شرف بك]



وخصوصاً في الأقطار الشرقية بين الشعوب التي جل غذائها من الأرز المبيض ، لأن تبييضه بجرده من القشور الخارجية المحتوية على ذلك الفيتامين . ومع أن حرمان الجسم حرماناً كلياً من غذاء محتور على فيتامين ب<sub>١</sub> ، قد يفضي الى اصابته بمرض البري — بري الأ<sup>١</sup> أن لذلك الحرمان ، درجات متفاوتة تحدث اعراضاً أخف منه وطأة . ففي أدواره الأولى قد يشكو المراهقون التعب والجمود والصداع والاضطراب العصبي وفقد الشهوة للطعام ثم تعقبها أعراض أشد منها ظهوراً . ولما كان النقص الغذائي الأول في مرض البري — بري هو نقص فيتامين (١) فلا يبعد حدوث عجز كذلك في العوامل الغذائية الأخرى . وقد يصدق هذا في حالات الافتقار الغذائي الأخرى ولكنه أصدق ما يكون في حالة نقص فيتامين (ب<sub>١</sub>) لأن أول أعراض المرض هو فقد شهوة الطعام فتفضي الى نقص المقدار الذي يتناوله المرء ثم الى ضوولة ما يتناوله من المواد الضرورية الأخرى

وبما أن الجسم البشري عاجز عن ادخار مقادير كبيرة من فيتامين ب رقم ١ فمن النافع له حصوله على مؤونة متواصلة من ذلك الفيتامين في غذائه . وهذه الحاجة ميسورة في معظم الأغذية الشائعة في هذه البلاد . ولكن طريقة طحن الحبوب طحناً جيداً بغية الحصول على دقيق حواري<sup>(١)</sup> وكذلك صقل الأرز ، تحسباً لمنظره ، ثم رش القواكه بالكبريت مما يقلل فيتامين ب<sub>١</sub> في أغذيتنا في هذه الديار (يقصد الكاتب ببلاد الولايات المتحدة الأمريكية) وما جرى مجراها

\*\*\*

وبعد ما تبين أن داء الاسقربوط البشري من الأدواء التي تتولد من نقص الفيتامين في الجسم ، انقضت ٢٥ سنة أخرى قبلما كشفت المادة التي تحدث الوقاية منه وتشفيه . ونعني بها الفيتامين الثالث وهو فيتامين C . فتم أخيراً استخلاصه من الأغذية وذلك في شكل مركب كيميائي معروف التركيب والصنع . أما وقد انقضى أكثر من ست سنوات على استخلاصه ، فإن مبلغ تأثيره في الجسد ، ومبلغ افتقاره اليه في مراحل العمر المختلفة ، لا يزالان من الأمور التي يلابسها كثير من الشك

ومن المصاعب كون هذا الموضوع ، لم يعد مفتقراً الى تحديد مقدار الفيتامين الضروري للدرء أعراض الاسقربوط وهي آلام المفاصل وتيبسها وتورم الشفت وسيلان الدماء منها ، ثم تخلخل الاسنان ، ونزف الدم تحت الجلد ، في أعضاء مختلفة من الجسد . إذ ان هاتيك الأعراض الشديدة الوطأة أصبحت الآن نادرة في الولايات المتحدة الأمريكية

ولكن هذا لا يعني أنه ما من باعث يبعث السواد الأعظم على الخوف من مغبة نقص فيتامين (C) في أجسامهم ، لأن كثيراً من الأعراض الغامضة لاعتلال الصحة ، ومنها القلق في النوم والنهيج

(١) الدقيق الأبيض الناعم وهو لباب الدقيق



عند الاطفال والرضع والشعور بالانحطاط عند بالغى سن الرشد ولا سيما في أوائل فصل الربيع «حمى الربيع» لا يعد ان تكون أسبابها، الحاجة الى فيتامين (C) في أجسامهم، والوجه انه ولو لم تظهر علامة واحدة خارجية تدل على المرض، يصح ان يصبح المرء، من افتقاره الى فيتامين (C)، في حالة أخطر من اصابته بمرض الاسقربوط نفسه. فاذا لم تعالج تلك الحالة الحق الضرر أسنانه وعظامه، وانتاب الضعف جهازه الدموي أيضاً، فلن يقوى على كفاح الأمراض الخطيرة. وفي وسع كل امرئ شراء فيتامين (C) نقياً وذلك من مستودعات الأدوية أقرصاً صغيرة بيضاً، اسمها Cevitanic acid الحامض السيفيتاميك وله اسم آخر أكثر شيوعاً من هذا وهو Ascorbic acid الحامض الأسوريك. وذاتك الأسمان يدلان على أن ذلك الفيتامين حامض. والواقع انه ذو طعم حامض قليلاً يشف عن كونه من الأحماض ويتأكسد الفيتامين بسهولة في المواد النباتية. ومتى حدث ذلك، كما هي الحال في الأغذية التي تعرض للهواء زمناً طويلاً تعذرت اعادتها الى حالتها الطبيعية الفعالة. وعدا هذا فان بعض فيتامين (C) الذي يدخل الجسم في الأطعمة التي تحتويه أو نقياً أي أقرصاً من الحامض المذكور قد يفسد قبل استعماله. إذ فيتامين C غير ثابت على الإطلاق وسهل الضياع. ومن الميسور ببعض التجارب الكيميائية الاستدلال على تأثير الفيتامين في خلال ارتفاع الجسم به. كما انه تُسنى مراقبة التغيرات التي تطرأ على الجسم عند امداده بالفيتامين أو حرمانه منه. وقد دلت المباحث على حدوث تغير ذي بال في أرانب غينيا guinea pigs وذلك حول الخلايا في بعض أنساجها البدنية وهي نخاع العظام وعاج السن والأنساج الموصلة المختلفة المنتشرة في الجسم كله وهذه الخلايا تكون عادة محاطة بمادة هلامية متبينة قصير هذه المادة في أجسام الحيوانات المحرومة من فيتامين (C)، سائلاً مائلاً عاجزاً عن تكوين الخلايا. فاذا أعيد تموينها بالفيتامين، استعادت حالتها الأولى الهلامية الشكل، فتعدو كشفه كثافة الهلام بتأثير البكتين<sup>(١)</sup> عند اضافة هذا الى الهلام في صنعه

ومن نتائج الافتقار الى فيتامين (C) في الجسم أيضاً، افتقاراً يستدل عليه من تقصير المادة المتخللة الخلايا في التحول الى هلام، إرجاء اندمال الجروح. وقد ثبت من التجارب التي جربت في الأرانب الهندية ان الجروح التي تخرج فيها عمداً تتدمل اندمالاً وئيداً، حينما تغذى بغذاء يقل فيه فيتامين (C) عنه حينما تغذى بغذاء يحزل فيه الفيتامين عنه. وتبين أيضاً أنه في أثناء ذلك الاندمال البطيء يتمزق نسيج الجرح تمزقاً سهلاً جداً

(١) البكتين — مادة نباتية توجد متحدة مع الجير في الفواكه الرطبة والجذور والقشور والاورق — [معجم شرف بك]



وهذه النتائج توضح لنا سبب تمزق الجروح من حين الى آخر ، دون دليل على وجود المرض في الكائنات البشرية ، إذ تحسب القرح الهضمية المستديرة في المعدة peptic ulcers جروحاً ولذلك بعد أنجح علاج لها الآن توافر فيتامين (C) في غذاء المصابين بها . أما في الزمن الغابر فكان الطعام الذي يوصف لمرضى القروح يكاد يفتقر افتقاراً كلياً الى فيتامين (C) وبعد التمكن من تحديد دخل الجسم وخرجه من فيتامين (C) ، تبين ان جانباً كبيراً منه يختفي في غضون الأمراض المختلفة ، اكثر منه في الأحوال العادية

فالتدرن الرئوي مثلاً وهو من الأمراض المعدية يستنزف مقداراً كبيراً من فيتامين (C) ولذلك دأب الأطباء من زمن بعيد ، في حث المسلولين على الإفراط في تناول عصير البرتقال ، أو عصير الطماطم ، عند علاجهم بطريقة التغذية الخاصة . وخيل الى الباحثين أن الجراثيم المولدة لذلك المرض تفك بهذا الفيتامين ، غير أنه ثبت الآن ببعض الأدلة ان لهذا الفيتامين شأناً خطيراً في مكافحة ذلك المرض ، لأنه ضروري لاتمام قيام مصل الدم بوظيفته كما يجب ، وهي القيام مقام خط الدفاع الاول لوقايته من الجراثيم التي تحاول غزوه

ويقدر ما يحتاج اليه كل بالغ لسن الرشد ، ودون الرشد والاحداث من فيتامين C تسعة عشر مليغراماً الى ١٠٠ مليغرام أو أكثر

اما الذين اعتادوا في كل فطور ، تناول كوب من عصير البرتقال أو غيره من عصارات الفواكه مثل الليمون الهندي أو التوت الغض ، في مواسمها ، فلا خوف عليهم من نقص مجموع فيتامين (C) الذي يتناولونه يومياً من تلك المصادر جميعها عن ٧٥ أو ١٠٠ مليغرام . لأن الكوب الصغير من عصير البرتقال يحتوي على نحو ٥٠ مليغراماً من ذلك الفيتامين اما الكوب الكبير فيشمل ١٠٠ مليغرام . وبغير استعمال البرتقال يسهل نسبياً حشد مجموعة من الاطعمة اليومية المتنوعة تزود آكلها بمائة مليغرام أو اكثر من ذلك الفيتامين . والناس يخشون سوء عوايب اللثة الدائمة gingivitis والتهاب اللثة وسيلان الدماء منها عند أدنى تهيج يلحقها وكذلك نحيج الأسنان أو سيلان الصديد منها pyorrhea يذكرنا باحتمال تخلخلها الرهيب . والمباحث التي دارت في الأرباب الهندية والبشر لا تترك مجالاً للشك في ان وفرة فيتامين (C) في الجسد ، أولى وسائل الوقاية من تينك الحالتين

\*\*\*

أما فيتامين (D) فينظم تمثيل الكالسيوم والفسفور في الجسم ، فهو إذن مختص بتكوين العظام والاسنان تكويناً صالحاً . ويظن انه يسهل امتصاص الكالسيوم والفسفور من منطقة القناة الغذائية بوسيلة ما . ومع ذلك فهو لا ينتج أقل مقدار يفتقر اليه الجسم من الكالسيوم



والفصفور. ولعلاقة فيتامين (D) بتمثيل الكلسيوم والفسفور في الجسد، كان من الطبيعي توقع وضوح الافتقار إليه، الى أقصى حد في زمن الرضاعة وأوائل الطفولة حينما تأخذ عظام الرضيع اللينة الفسروفية في التحول الى عظام ثابتة صلبة. وفي ذلك الحين أيضاً يأخذ الهيكل العظمي في النمو عموماً عظيماً، كما تظهر في تلك السن أيضاً أدلة نقص فيتامين (D) في الجسم بأجلى مظاهرها اذ يعرض الطفل للإصابة بالكساح أو لين العظام. وفي الجلد البشري مادة الستيرول Sterol وهي سابقة لفيتامين وتكون مقترنة في أغلب أنساج الحيوانات وخلايا أبدانها بمادة أخرى تسمى كوليسترول cholesterol وعندما يتعرض امرؤه لنور الشمس، تنشط مادة الستيرول في جلده فتكون فيه فيتامين (D). ويتوقف تأثير نور الشمس المضاد للكساح antirachitic على قوة الأشعة التي فوق البنفسجية المنبثقة من ذلك النور. وفعل نور الشمس في الزوج وبعض الشعوب السممر أضف منه في البيض. فإذا لم يتعرضوا لنورها زمنياً أطول من تعرض الشعوب ذات البشرات الرقيقة له، عجزوا عن الحصول على حاجتهم من فيتامين (D) وبعبارة أخرى إن التعرض لنور الشمس، يعوض بعضاً من فيتامين (D) أو كله في من يحتاج إليه من البشر حينما يقتصر مونه بتلك المادة على المصادر الغذائية. والوجه ان حاجات البالغين من فيتامين (D) لما يتم تقديرها. ويرى كثيرون من ثقات الباحثين ألا ضرورة لتموين البالغين من الرشد بهذا الفيتامين الا اذا كن حوامل أو مرضع كما إن مبلغ حاجة الانسان الى فيتامين E لم تعرف أيضاً. واقتصرت معظم المباحث الخاصة بتقدير حاجات البشر الى فيتامين E على تحقيق لا ابتلاع زيت جنين القمح wheat germ من تأثير في أحوال العقم والاجهاض المتكرر عند النساء habitual abortion فأسفرت هاتيك المباحث عن كون زيت جنين القمح لا يجدي في علاج العقم. والريبوفلافين Riboflavin هو الاسم العام الذي يطلق الآن على الفيتامين الأصفر اللون القابل للذوبان في الماء وهو يوجد في طائفة كبيرة من الأغذية الطبيعية. وفي السنين الماضية كان هذا الفيتامين يعرف بأسماء مختلفة ومنها اكتروفلافين Lactoflavin وفيتامين (G. ج) وفيتامين (B<sup>2</sup> ب<sup>٢</sup>). وقد باعت المحمودات الأولى التي بذلت في تربية الحيوانات بتغذيتها بالبروتين الخالص والشحم والكر بوهيدرات والأملاح غير العضوية، بالحبوط التام. ولكن اذا ما أضيف الى ذلك الغذاء مقادير طفيفة من شرش اللبن ودهن الزبد، نمت الحيوانات نمواً سريعاً وبدأت عليها مظاهر حسن التغذية<sup>(١)</sup>

واستغرق البحث زهاء عشرين سنة حتى تكشف للباحثين أن المادة الملوثة الصفراء، (القابلة للذوبان في الماء) التي في شرش اللبن، هي احد الفيتامينات التي ساعدت على تربية الحيوانات تربية

(١) والترويون في بلادنا المصرية يغذون الفراريج بدشيش الذرة الجبول بشرش اللبن قنمو عاجلا



ناجحة بغذاء بسيط . وتبين لهم أن الجرذان البيض الصغيرة التي كانت تغذى بمقادير كافية لها من باقي الفيتامينات الضرورية لنموها ، ما عدا الريوفلافين ، أخذت شعورها تنحسر عن أشفار جفونها ، واطرد سقوط شعورها حتى كادت تنجرد منها . وفي أثناء ذلك انتهت جلودها واتفخت اتفاحاً عاماً ، وخصوصاً حول مخالبها وآذانها وأنوفها وأفواهها . أي إنها أصيبت بمرض جلدي dermatosis فقتت أباهم أقدامها وجفت جفافاً شديداً وتساقطت بالتعاقب من عند مفصلها . فأضيفت الى ذلك الغذاء ، الكافي من الوجوه الأخرى ، مقادير يسيرة جداً من الريوفلافين ، فاستعادت هذه الحيوانات عاجلاً نموها الموقوف ، واستردت شعرها المفقود اذا اكتست جلودها بفراء كثة ملساء وشفيت من ذلك المرض الجلدي . وتأثير فيتامين الريوفلافين يضمن شيئاً فشيئاً وينصل لونه الاصفر اذا تعرض للضوء الطبيعي

والريوفلافين منتشر في الطبيعة انتشاراً واسعاً ، اذ اتيح استخلاصه من اللبن وآح البيض وحب والكبد والكلتين والشعير المزروع والخميرة العضوية وأزهار ناب الأسد dandelion أو هدياء البر وحشائش الحقل . ويوجد الريوفلافين في لحوم عضلات الحيوان جميعها حيث يزيد في الأحمر منها عنه في الأبيض . ويحتوي أغلب الفواكه والخضراوات على بعض الريوفلافين ولكن أوفر النباتات احتواءً عليه هي الأوراق الخضراء في اللفت والسبانخ وروؤوس الجزر وكرنب الشفاء kale . أما المقادير الحقيقية للريوفلافين في أغزر مصادره الغذائية الطبيعية ، فضيلة جداً غيرها من وجهة الاحتياجات الغذائية إليها ذات شأن خطير . فالحليب مثلاً يحوي من الريوفلافين نسبة لا تزيد على جزء واحد في ٦٠٠٠٠٠ جزء مع العلم بأنه من أعظم المصادر لذلك الفيتامين في الغذاء المتوازن المقادير ، ونفعه كمنبع للريوفلافين في أغذية الأحداث أكثر من ذلك أيضاً . ومنذ بضع سنوات وصف واربرج Warburg وكريستيان Christian خميرة كيميائية enzyme استخرجها من خلايا الخميرة العضوية yeast المألوفة فخصصها لآحداث الاكسدة الحلوية . والريوفلافين عنصر من عناصر تلك الخميرة الكيميائية الصفراء حيث يتحد فيها مع كلٍّ من الحامض الفسفوريك ومادة بروتينية شبيهة بالزلال . ولذلك يظن أن الريوفلافين ضروري للجسم الحيواني لكي يساعد هذه الخميرة الكيميائية على قوة تمثيل الطعام في الجسم . وأما كون الريوفلافين ذا علاقة وثيقة بعمليات الحياة ، فيبدو جلياً من جزالة وجوده في أكباد الحيوانات وكمالها وقلوبها كما يغزر في الأوراق الخضراء وفي أجنتها الى حدٍّ غير يسير . ولعظم انتشار الريوفلافين في كلٍّ من الاغذية ذات الأصل الحيواني والنباتي ، يقل استهداف البشر لنقص الريوفلافين في أجسامهم «البقية في الاخبار العلمية»



# خاتم العرس

قصة مصرية

لمحمود خيرت بك

كثيراً ما تصادف في حياة بعض الناس ما يثير الإعجاب من سمو الفكر وسداد الرأي ونبيل العاطفة حتى لكانهم فوق مُعاصريهم مرتبة أو أنهم سبقوا العصر الذي ظهرُوا فيه وكان حسام من هذا النفر ولما يتجاوز الثانية والعشرين من عمره حتى أحبه رفاقه حباً كانوا لا يصبرون معه على البعد عنه. يجتمعون عنده في كل خميس وفي ليالي الأيام التي تعطّل فيها مصالح الحكومة وهم يقطعون الوقت الى ما بعد منتصف الليل بالسمر الشهي البريء وكثيراً ما كان يجرحهم الحديث الى تناول سير اهلهم وشؤون أسرهم وما يكون قد تخللها من نوازل وأحداث. ولكن حساماً كان يمسك عن الخوض معهم في حياته الخاصة مقتصراً على السلالة العربية التي انحدر منها فيذكر ما للعرب من العادات وما اتصفوا به من خلق البأس وسجيّة الشجاعة الى حد الاستخفاف بالدم في سبيل الأخذ بالتأروهم مسوقون الى ذلك بدافع عنيف من الكرامة والاعتزاز بالتقاليد

وكانوا اذا استزادوه من طرف خفي لعلمهم بصادفون في حديثه ثامة ينفذون منها الى نسبه ونشأته ادرك غرضهم فيلجأ الى بعض الأمثلة على ما لتلك الخصال عند أسلافه من الرعابة والتقديس. فهم ينفرون من الزواج اذا سبقه تشيب يعدونه رجساً وعاراً. ولا يسمحون بالزواج ممن هو من غير القبيلة حتى لا تختلط الأنساب

وعند ذلك يتحدث الجدل ويتعالى الحوار وهم دهشون كيف يكون الحب عند العرب جرماً فيدأون بذلك على بُعدهم عن أبسط نظم الحياة. وما كان الحب الاّ الأساس السليم الذي يمد صلة الزوجين بالقوة ويكتب لها البقاء وهو يفتح امامهما طريق السعادة ويجعل من تلك الصلة المحكمة جنة الأرض ونعيم الدنيا. ثم ينحون عليهم في تعصّبهم القاسي لصراحة الأنساب وما يجره على الأفراد من الجناية على حريتهم والوقوف في سبيل أمانهم

وكان حسام في خلال ذلك يلتزم الصمت وينصت الى ما يدلون به من الحجج حتى اذا فرغت جماهم منها اخذ يفتح عيونهم على ما يجهلون من سجايا اسلافه وسلامة تقاليدهم. فما قال



أحد أنهم ينفرون من الحب وهو طبيعي لا يمكن دفعه وضروري لدوام تلك الصلة وإنما هم يمتنون التشبيب بالعذارى والفارغات من النساء لأن هذا مما يفتح باب الشك في عفتهم . ولذلك كان في نظرهم مسبة ورجساً . ثم ان ما ركز في نفوسهم من البأس والاستخفاف بأرواحهم في سبيل العزة القومية لا ينهض بغير العصبية وهي لا تقوم الا على صحة النسب وتجانسه مما يفسده الاختلاط البعيد . على ان العرب قوم على الفطرة التي جعلت نفوسهم أكثر تهوؤاً لقبول ما يرد عليها من الفواعل وينطبع فيها من البواعث فكل ما شد عليهم من قيود التقاليد إنما هو وليد ما رسخ في بواطنهم من آثار تلك الفواعل التي تغلغل جذورها فيها فأصبح من العسير عليهم التخلص منها وقد صارت بعد ما درجوا عليها وألفوها خلقاً أصيلاً وتزلت منهم جبلة راسخة حتى أن بعض المتحضرين منهم الذين انغمسوا في ترف المدن المتحضرة وفترت نفوسهم أو كادت عن المدافعة بعد أن اطأ نوا الى سهر الحكومة وحراستها لا تزال بعض تلك التقاليد راسخة فيهم رسوخ العقيدة . ولعل ما يصادفنا كل يوم من فواجع الأحداث بين أفراد العرب في الصعيد والوجه البحري طلباً للثأر أو ثورة للعرض لأكر دليل على ما لبعض تلك العادات في نفوسهم من التأصل والاستقرار

وما كان ليخفى على حسام غرضهم من كل هذه المحاورات ولا كان ليضن عليهم بما يغيون لولا أنه هو أيضاً لم يكن ليعرف من أمر ابويه شيئاً الا ما كان نذراً قليلاً لا يشفي . وكل ما بقي في ذاكرته من الصغر ان أمه اختطفته ذات ليلة من سريرته الصغير على أثر صوت شديد دوى في الحجرة فأيقظه . صوتاً صرخ أبوه على أثره وأمّه تنحدر به على درجات السلم انحداراً ثم انطلقت به وهي تعدو وتعتري في طرق المدينة المظلمة الى أن بلغت به داراً أخرى اطأنت عليه فيها لقد كان عند وقوع هذا الحادث طفلاً لا يتجاوز السادسة من عمره وكان فكره عند تلك الصرخة مشوشاً وهو لا يزال في غشية من النوم فلم يشعر بأكثر من أن مصاباً وقع لأبيه وأن أمه كانت تحشى عليه منه حتى أنها أسرعت تطلب الفرار به من تلك الدار . ولا بد أن أباه قضى على أثر ذلك الحادث لأنه لم يره من بعده . ثم ان أمه التي كانت تزوره بالدار الجديدة في فترات متباعدة ثم وقفت زيارتها له وانقطعت اخبارها عنه . فما الذي جرى لأبيه وما الذي جرى لها ؟ ومن ذلك الرجل المحطم الذي استودعته اياه ؟ وهو لا يزال يذكر ايضاً ليلة من الليالي اضطربت فيها تلك الدار فأخذوا يسارعون الى سد النوافذ وابصاد الأبواب والسهر الى الصباح عندما لحق ذلك الشيخ بالقسم الداخلي من مدرسة الابتدائي (السنية الآن) ثم بهذا القسم من المدرسة الحديوية (وكانت بشارع درب الجمايز) . أحاج ومعميات طالما أجهد نفسه في حل رموزها دون أن يهتدي



وفي يوم من الأيام اتفق رفاقه على ان يذهب معهم الى حفلة ساهرة بدار الاوبرا لمشاهدة احدى ما سي شكسبير وكان على الزائرين ان يحضروها في ملابسهم الرسمية وما كان لدى حسام وقتئذٍ « ردينجوت » لهذا الغرض ولا كان في الوقت متسع لأعداده فأشار عليه رفاقه باستئجاره كما يفعل كثير من الناس في مثل هذه الاحوال الضيقة ولا سيما أنه ما كان ليرتديه الا بضعة ساعات الحفلة . ولذلك اسرع الى رجل يعرفه كان يعيش على إقراض الناس مقابل ما يرهونونه عنده من منقولاتهم

وكان غرضه من ذلك أن يدلّه على الخازن التي تؤجر مثل هذه الثياب ولكن التاجر استمسه وهو يفكر ثم قال أظن أن لديّ طلبك فان سيدة حضرت اليّ من زمن وأودعت عندي ردينجوتاً كالذي تطلبه . وعند ذلك تناول سجلاً أخذ يقلب صفحه حتى اذا عثر على الرقم الخاص بتلك السلفة قصد الى إحدى العيون المثبتة في الحائط وأخرج منها صرّة ناوله اياها فشكره ووعدته بردها

وكان الردينجوت جديداً حتى كاد يقطع بأن صاحبه لم يلبسه الا أنه بسبب طيه في تلك الصرّة أصاب بعض اجزائه ثقبين يزول متى مرت عليه يد الكواء

ولكنه أخذ يفكر في امره وهو يقول لولا ان صاحبه اصبح بعيداً عن هذه الدنيا لكان سعى الى رهنته بنفسه . أما وان التي رهنته سيدة فهي اما زوجه وإما أمه أو إحدى ذوات قرباه . وعند ذلك يسبح في بحر خواطره فيذكر ان صاحبه كان في بسطة من الرزق لأنه لا يقتني مثل هذه الملابس الا من كان من ذوي الجاه واليسار . وينتقل من ذلك الى ان تلك السيدة لم تتصرف فيه الا بدافع من الفقر والحاجة شديد . وعندئذٍ تظلم الدنيا في عينيه وبحجري دموعه لهذا المصير الذي أصبحت اليه بعد ما كانت فيه من مطارف النعمة

من عساه أن يكون صاحب هذا الردينجوت . ومن تراها تلك السيدة التي عضها الجوع فهان عليها أن ترهنه لا أن تبيعه لأنه عزيز عليها ؟

هكذا أخذت هذه الأسئلة تروح وتجيء أمام عينيه وهكذا نسي اخوانه ونسي الغرض الذي استأجر الردينجوت من أجله لأنه أصبح وكل همّه أن يهتدي الى اسم صاحبه والى مكان التي رهنته ليبرع اليها فيرفه عنها . وعند ذلك وقع نظره على أحرف منقوشة فوق الجزء الأعلى من البطانة فلم يتردد في أنها اسم التاجر الذي صنعه ولذلك أسرع الى حانوته بعد أن سأل عنه . وكان الرجل طاعناً في السن وقد مرّ على تفصيل هذا الردينجوت زمن بعيد ولكن صاحبه كان من صفوة زبائنه فلم تكذب تقع عيناه عليه حتى تذكره ولكن حسام شعر عندها كأن السماء أطبقت عليه وأن الأرض زلزلت به وقد علم من التاجر انه لم يكن لغير . . . ابيه



لقد أحييت تلك اللحظة الرهيبة في نفسه المذبذبة ما اندفن في تراب الماضي من أليم الذكرى . بل لقد ضاعف عذابه ان تلك السيدة التي يحبها لم تكن غير أمه وهي تعاني ألم الفقر ومرارة الحاجة بينما هو يرتع في مروج النعمة التي ورثها . وهكذا عاد مطرقاً مهموماً ولكنه قصد الى المرحن ليقف منه عن مكانها

وكانت تقيم في « قلعة الكباش » وهي ربوة عالية على مقربة من جامع ابن طيلون قامت فوقها حُجْرٌ منتثرة على غير نظام تشبه الأكواخ يسكنها فقراء الحلي والى جوانبها كلابهم ودوابهم وأبقارهم التي يتجرون بألبانها . وعلى مقربة منها اولادهم الصغار يرحلون ويلعبون وكانت الشمس قد أخذت تخنق شيئاً فشيئاً وراء الأفق وقد انعكست عليه أشعتها فتركت كنه كسحاق متوهج يدور حول المدينة حتى اذا غابت وأخذت بوادر الظلام تنتشر في جميع الأرجاء اكتسى الفضاء بلون بنفسجي قائم تشقه اشباح المآذن وأصوات المؤذنين في تلك اللحظة كانت احدى تلك الحجرات موج بالحركة والنساء على بضع خطوات واجبات ذاهلات حتى اذا خرجت منها احدهن دُرْنَ من حولها فقالت لهن في نبرات حزينة : قضي الأمر . قضي الامر . انها لن تعيش الى الصباح . ثم أخذن في العويل . وما كان اولئك النسوة غير جارات لصاحبة تلك الحجرة . ولكن الطبقات الفقيرة يعطف افرادها دائماً بعضهم على بعض حتى لكأنهم أسرة واحدة والشقاء يجمع بين المكدودين

ولقد ادرك حسام ان تلك الحجرة لم تكن لغير أمه وهي حجرة بالية يضيئها مصباح حقير مثبت فوق احد حيطانها . وكانت خالية من الأثاث الا من حصير قديم تحت قطعة من بساط عبث بجذته الزمن . وكانت امه راقدة فوقها تحت غطاء رث متأكّل وكأنها مستغرقة في النوم . الا انها شعرت به فصاحت بصوت ضعيف :

— من ؟ فقال زائر يا سيدتي ثم أخذ يبكي

وعند ذلك ادارت رأسها الى جهته بمشقة وأخذت تنظر اليه طويلاً ثم زفرت زفرة طويلة

وهي تقول في عبارة ملنوية :

— انه في سنه ...

— من هو يا سيدتي ؟

— ولدي يا بني : وكلم وددت لو أنني اراه ولو مرة واحدة قبل ان افارق هذا العالم . كان من أشهى أمانى ان املأ عيني منه وان أحدثه عن ماضيه الذي يحبه . ولكنني اذكرك انك انت وقد ساقتك الأقدار الي . انه لقريب الشبه منك وانك لفي سنه . ثم ألم يجمع بينك وبينه الشباب وكان حسام في خلال ذلك يشعر بسوء حالها ودنو ساعتها فلم يشأ أن يباعد بينها وبين



تلك الأمنية الأخيرة في الدقائق القليلة الباقية ولذلك أسرع الى يديها يدقها بين كفيه ثم قال لها في صوت حزين : أنا هو يا أماء . . .

وعندئذ دبت فيها قوة جديدة كنتك القوة التي تبثها في المحتضر صحوه الموت فساعدتها ثم أسندها الى ساعده الأيسر وأخذ يمسح دموعها يميناه . وكانت تنظر اليه مترددة شاكّة حتى اذا روى ذلك الجانب القليل الذي علق بهذا كرتيه من حياته الاولى تهلل وجهها وانبسطن أساريرها وأخذت تفصل له ما جهل من تاريخ حياته وحياتها وهي تضغط على كفيه

« نعم يا ولدي إن هذا الردينجوت الذي رهنته هو لأنيك . وكنت كلما حاولت التصرف فيه أقف وهو الأثر الغالي الذي أذكره به في أيام الرخاء والنعمة . ولكن الحاجة مريرة قاسية ولقد كان الصوت الذي سمعته ليلة حملتك الى غير دارنا صوت قذيفة أرادوك وأرادوني بها فأخطأنا وأصابت أباك . . . إنهم كانوا قساة يا حسام ولكنهم ما كانوا ليطيعوا ذلك الحب الذي ربطني بأنيك ولا أن تخرج ابنهم على تقاليدهم فتزوج من غريب عن القبيلة . . . »

« وكانوا أيضاً يتعقبوني ويتعقبونك حتى أنني نصحت الى حمي جدك لأنيك الذي أودعتك عنده فأدخلك في القسم الداخلي حرصاً على حياتك وحتى اضطرت الى الابتعاد عنك كي لا يهتدوا اليك . ومن ذلك العهد عافت نفسي الحياة وكرهت العالم فأويت الى هذه الغرفة فكانت ديري الذي ترهّبت فيه . وكانت قبوري أيضاً ، وإن من القبور ما هو قائم فوق سطح الأرض والناس غافلون »

« على انك بحمد الله لا خوف عليك الآن وقد مات أبي وخذت تلك الثورة التي قضت على أنيك كما قضت على هناثي »

« لقد كان أبوك يحبني ويعبدي وكنت أحبه وأعبدته حتى لقد ظل هذا الخاتم الذي اهداه اليّ ليلة عرسنا في أصبعي أزينة به وأذكره به . أنه ليحفظ في حلقتيه الضيقة كل ما مرّ بنا من أحلام الماضي الحلوة . وأنه ليرسل السلوى الى نفسي التي غمرها الحزن على ما فات من ذكريات الحب المسترقة فهو يضم عليه كما يضم الرباط الحريري على باقة الورد المتفتح الناضر »

« لينك تدري يا حسام ما أعزّه عليّ حتى أنني — حين اصافح عمّا قليل كفف النسيان ، وأستقبل وأنت توسّديني في نعشي ما ينتظر كل حيٍّ من النوم الطويل بعد أن ينحدر ظلامه الى جفني وترسم صفرته على وجهي — لأرجو أن يظلّ مخلصاً أصبعي الذي تقلصّ وضمرّ ، كما لا يزال ذلك الرباط يضم تلك الباقة بعد ذبول أوراقها » . . .

وعند ذلك انعجم لسانها ومالت رأسها الى صدره فطبع على جبينها المشرق قبلة الوداع لأبدي ثم انفجر في البكاء . . .





---

## البحر الاحمر

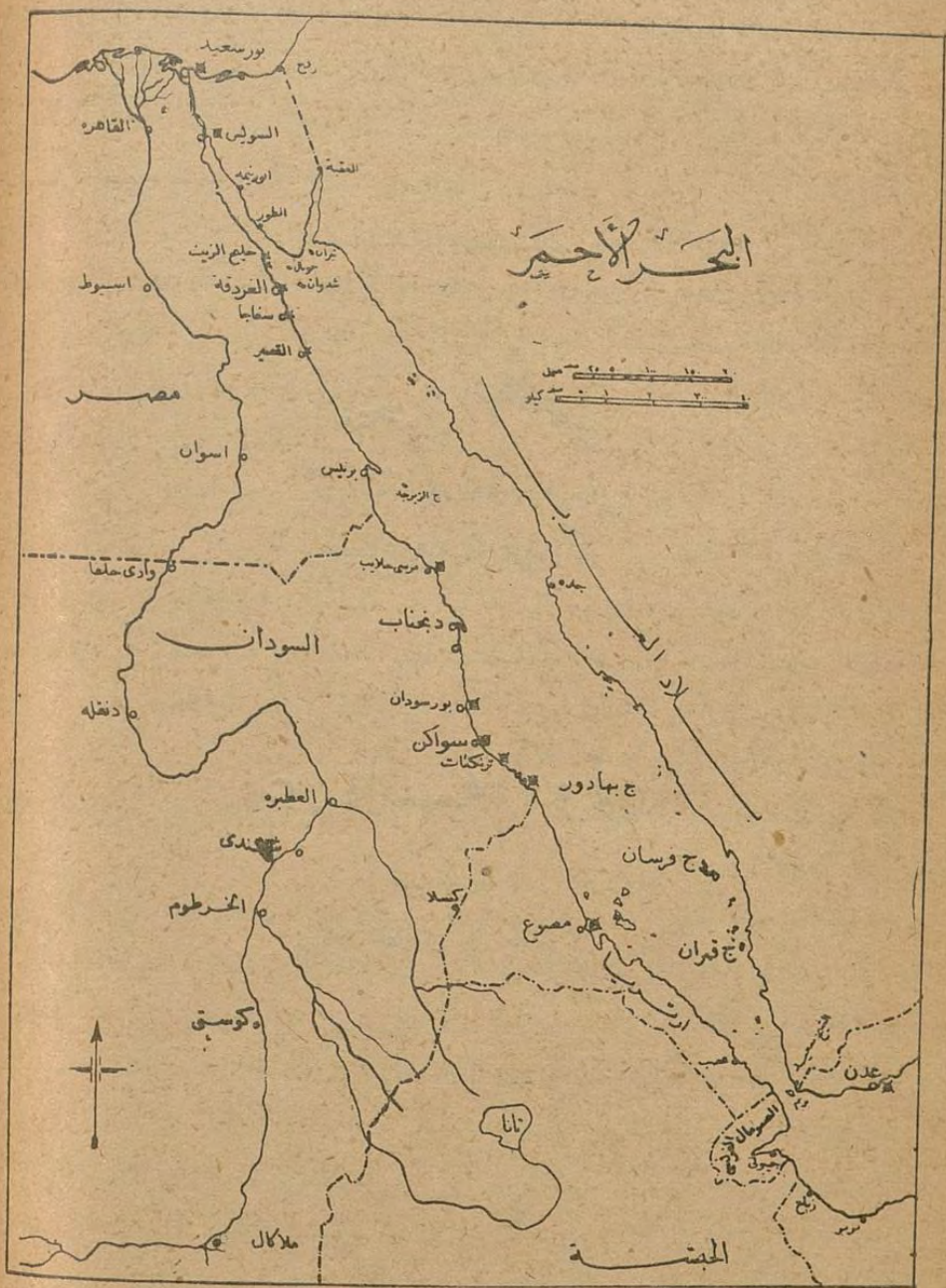
أوصافه الجغرافية والحرية  
للصاغ عبد الرحمن زكي

---

## عبرة السنة الاولى

من الحرب  
الحد الفاصل بين حضارتين







# البحر الأحمر

وأوصافه الجغرافية والحربية

للصاغ عبد الرحمن زكي  
أمين المتحف الحربي

تؤثر ثلاث مناطق هامة تأثيراً كبيراً من الناحية الاستراتيجية في قوة الإمبراطورية البريطانية ومقدرة أقسامها على التعاون . فالمنطقة الأولى تحيط بسواحل اسبانيا المطلة على المحيط الأطلنطي . والثانية سواحل الصين الجنوبية . والثالثة البلاد المطلة على البحر الأحمر الذي ينظم أمواجه الهائلة بما يزيد على ثمانمائة ميل من السواحل المصرية والسودانية . والبحر الأحمر ليس عميداً جديداً من مبادئ النشاط السياسي والحربي في الوقت الحاضر فإنه منذ العصور القديمة كان ميداناً مصرياً ثم صار بحيرة رومانية فعربية . وظل كذلك إلى أن حلَّ العثمانيون محل المماليك المصريين بعد انتهاء دولة هؤلاء . ثم جاء دور المستعمرين الأوروبيين من بنادقة وبرتغاليين وفرنسيين

وحاول المغفور له محمد علي باشا أن يستولي على منافذ البحر الأحمر الجنوبية وفيما وراءها ولكن ذهبت محاولته هباء أمام البريطانيين . فاستولوا على عدن سنة ١٨٣٧ ليؤمنوا الطريق إلى الهند (١) وأخيراً تسرّب النفوذ الإيطالي أيضاً إلى هذا البحر . واستقرَّ على سواحل ارتريا والصومال وبعض الجزر الصغيرة وصار يزاحم النفوذ البريطاني وينافسه في اليمن يبدأ البحر الأحمر في الاتساع بعد خليجي السويس والعقبة . فالى الشمال الغربي يمس شاطئه الأقاليم المصرية والسودانية . وإلى الشرق بلاد العرب الواسعة . وإلى الجنوب تشرف عليه إمبراطورية ناهضة تمتد بقاعها من كينيا إلى رودسيا . وإلى جانب هذه الإمبراطورية تقع أفريقيا الشرقية الإيطالية التي تألفت من بلاد كانت مستقلة وهي اثيوبيا وأخرى كانت تفرق عليها السيادة المصرية العثمانية قبل الإيطالية كارتريا والصومال الإيطالي (٢)

(١) وفق حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون في العثور على وثيقة تاريخية لفتح المغفور له محمد علي باشا عدن وجزر البحرين في الخليج الفارسي . وهذه الوثيقة مؤرخة في ٢٠ جمادى الثاني سنة ١٢٥٣ (٢١ سبتمبر ١٨٣٧) وقد كتبها البكباشي صادق أفندي الموقد لاختصاص عدن والمناطق التي حولها وانقاذها من الحكم التركي . وقد تم ذلك كما هو معروف ومثبت

(٢) كانت أرتريا أقلية خاضعة للنفوذ المصري باسم إقليم مصوع إلى عام ١٨٨٣ . عندما سمحت لاجتلاء إيطاليا بعد سقوط الخرطوم باحتلال زيلع أو مصوع وبيلول فاحتلت مصوع في ٨ نوفمبر ١٨٨٤



ومن مجموع تلك الأقطار انشئت القلعة الأفريقية الإيطالية الكبرى بمجهود موسوليني لم يعد البحر الأحمر طريقاً مائياً له قيمته من الناحية العسكرية بحسب . . . بل أصبح في الواقع مركزاً لنطاق مجموعة من البلدان الشاسعة الخاضعة للحكم البريطاني أو لنفوذه . وهذه البلدان لا يمكن اسعافها بمقتضيات الموقف العسكري بعد ما طرأ على الأحوال السياسية من تحوّل كبير إلا بسيادته . فلم تعد اليابان أو إيطاليا أو اسبانيا في مجموعة الدول الصديقة لبريطانيا . وصار من الضروري استبقاء قوات عسكرية للدفاع عن الهند والملايو واستراليا لمقاومة أي تهديد توجهه اليابان أو إيطاليا أو روسيا الى تلك الأجزاء الهامة من الامبراطورية البريطانية وبهنا موقف إيطاليا بوجه خاص لاتصاله بالبحر الأحمر . فالمعروف ان لهذه الدولة في أفريقية الشرقية الإيطالية ما يقرب من مائة الف جندي إيطالي ومائة وخمسين الفاً من القوات الوطنية بجانب جيش من العمال الإيطاليين والنود . ومع هؤلاء الميليشيا المؤلفة من ٢٢ أورطة من رجال القمصان السود . خمس منها في أديس أبابا وعشرون بلوكاً للدفاع الرشاشة وسبع بطاريات ضد الطائرات وبطارية مدفعية السواحل في مصوع ومنها في موجداديشيو . وجميعها مزودة بأحدث أسلحة القتال ولا سيما السلاح الجوي والمدفعية الثقيلة والدبابات . وهذه البلاد مجهزة بأحدث وسائل الدفاع المنيعة التي تطابق طبيعة الأراضي الوعرة . وقد جددت موانئ عصب ومصوّع على ساحل البحر الأحمر وموجداديشيو المطلة على المحيط الهندي وعمقت مياهها وجعلت مواقع حرية كبيرة كما حصنت الجزر المجاورة لها . وبالقرب من مصوع على خليج أنسلي الذي يبلغ عرضه نحو عشرة أميال وعمقه الى الداخل نحو ثلاثين ميلاً أعدت منطقة صالحة جداً لايواء الغواصات وحصنت المنطقة بمدافع ضخمة متينة على الساحل والجزر الملاصقة وأهمها « دهالك »

إن الحرب الدائرة اليوم ستظهر نتائج الدور الذي تقوم به الغواصات الإيطالية ضد السفن البريطانية المتجهة شرقاً أو غرباً . ولاريب في ان رجال البحرية الانكليزية يقدرّون جميع الأحوال التي تتصل بمياه أساطيلهم . ولا سيما مياه الشرقي المتوسط والأدنى . وهم يعرفون تماماً معنى تأمين طريق الوقود الذي تنقله السفن الانكليزية من آبار الزيت الإيرانية عن طريق الخليج الفارسي . لأنه إذ لم يؤمن هذا الطريق الحيوي لم تجد تلك السفن غير الطريق البري الممتد بين الخليج الفارسي والعراق عبر صحراء سوريا الى البحر الأبيض المتوسط

ولفرنسا في مياه البحر الأحمر جيوتي وهي وإن كانت واقعة خارج منفذ البحر إلا أنها تعتبر عاملاً فعالاً من الناحية البحرية . فهي لا تجعل استخدام البحر الأحمر أمراً مضموناً . ولكنها تستطيع أن تؤثر في حرية مرور السفن في المحيط الهندي . وأمام جيوتي تقع جزيرة برهم المحصنة بمدافع البريطانية البعيدة المدى . وهي على بعد ميلين غربي الساحل الآسيوي واثني عشر



ميلاً من الساحل الأفريقي وتستطيع ان تمنع كل محاولة الانتفاع بباب المندب وتجهل قاعدة الشيخ سعيد الفرنسية لا قيمة لها (١)

ولمنطقة الشيخ سعيد التي في الجنوب الغربي من شبه جزيرة العرب المشرفة على مضيق باب المندب منزلة خاصة لأنها تعلو مائتي متر عن سطح البحر . وتعتبر « جبل طارق فرنسا » . ولقد ارتفعت منزلة منطقة الشيخ سعيد بعد احتلال إيطاليا للحبشة . لأن هذا الاحتلال جعل لاطاليا بدأ في طريق الهند هذا . واحتلال فرنسا للشيخ سعيد عزز مكانتها في مضيق باب المندب الذي يبلغ عرضه ٢٥ كيلو متراً من الشاطئ الآسيوي الى الأفريقي أي بين الشيخ سعيد وجيبوتي (٢) وبالقرب من جيبوتي موقع ذو شأن عظيم يسمى « قبة الخراب » وهو يصلح قاعدة منيعة ومناخه آمنة للغواصات والطائرات البحرية . وهذا الموقع جزيرة مستديرة طولها ١٢ ميلاً وعرضها خمسة اميال يصل اليها بواسطة خليج ضيق العبور مياهه عميقة وتستر اجنابه صخور مرتفعة من حجر الجير ذات رصيف طبيعي يمتد ١٤٠٠ ياردة ويتسع اربعمائة متر . ولقد كانت ايطاليا على وشك وضع يدها على ذلك الموقع المنيع من الصومال الفرنسي عام ١٩٣٥ لولا امتناع ايطاليا عن تبادل وثائق ابرام الاتفاق ( اتفاق موسوليني — لافال )

وعدن اقليم وميناء على الساحل الجنوبي من بلاد العرب في شبه جزيرة صغيرة في مدخل البحر الاحمر . بنيت الميناء على فوهة بركان خامد . وهناك صخور منحدره تحيط بها مما جعلها أمنع من عقاب الجو . وتعتبر عدن مفتاح البحر الاحمر الجنوبي ، مع انها غير صالحة لرسو السفن الكبيرة وذلك لتهديد القاذفات الايطالية التي تغير عليها من ميناء عصب . كما ان الدور الذي كان مفروضاً على الثغرين الصغيرين زبلع وبربره ان يقوموا به أصبح دوراً ثانوياً

« ثغور البحر الاحمر المصرية » وقبل التكلم عن الثغور المصرية المطلة على هذا البحر نقول ان طبيعة اراضي الشواطئ المصرية جبلية بين جزيرة الأشرفي الى مصوع وكانت هذه الطبيعة تعتبر حاجزاً منيعاً لم يقتحمه عدو مغيراً الا نادراً ومن منافذ ضيقة ولكن مع ما طراً من التحسن على وسائل النقل البحري والجوي في الايام الاخيرة قلت قيمة تلك العقبات الطبيعية التي حمت حدود مصر الشرقية الجنوبية منذ احيال

ويشمل شاطئ البحر الاحمر مواني وجزائر متعددة ذات مناعة طبيعية لها منزلتها

(١) لم يتغير الموقف العسكري في البحر الاحمر بعد تسليم فرنسا تغيراً ايجابياً ولا يمكن التنبؤ بما سيكون المستعمرات الفرنسية أو مواقعها الحصينة في هذه المنطقة من شأن طالما السيادة البحرية في قبضة الاسطول البريطاني (٢) تعد جيبوتي في مقدمة المطامع الايطالية . وهي تكاد تكون مكملات لاثني عنه للحبشة من الناحيتين التجارية والعسكرية فالخليج العميق الذي يقع وراءها والجبال الطبيعية التي تحف بها تجعل منها مفتاحاً قوياً لمطامع ايطاليا البحرية وتكون بداية خط مواصلات الى المحيط الهندي



الحربية . وأهم تلك الموانئ مر ذكرها في كتب الجغرافية العسكرية بشيء قليل من التفصيل  
ولسنا نستطيع هنا سوى ان نتكلم باختصار عن كل منها وهي : السويس . الفردقة . سفاجة . القصير .  
وأهم الموانئ السودانية بور سودان وسواكن . ومن الثغور مرسى نامل وبرنيس ومرسى  
حلايب . ثم ابو زينة والطور على شاطئ شبه جزيرة سيناء الغربي  
فبالقرب من السويس تقع اكبر محطات تكرير البترول في افريقية . وهذه الميناء بمنبر  
محطة لتكوين القوات البحرية والجوية القادمة الى الشرق والذاهبة منه

والى جنوب السويس على بعد ١٨٠ ميلاً نجد ميناء الفردقة وهو محصن تحصيناً طبيعياً .  
يجعله صالحاً في وقت الحرب وموقعه في مفترق ثلاثة طرق مهمة . اولها : الى السويس . وثانيها : الى قنا .  
وثالثها : الى سفاجة . وقد تكون الفردقة محطة هامة للبترول ومغماً ثميناً للعدو لتوحيه بالزيت كما انها  
قاعدة طيران جيدة في منطقة البحر الأحمر (١) . ومما يعزّز ما للفردقة من شأن وقوعها عند مدخل  
خليج السويس فالعدو الذي يستولي على هذا الموقع يتسلط على طريق المواصلات في خليج  
السويس بأساطيله وغواصاته ويهدد مديريات الوجه القبلي بسلاحه الجوي

﴿ سفاجة والقصير ﴾ ويقع ميناء سفاجة في سفح جبال شاعفة وهو محصن تحصيناً طبيعياً  
لا مثيل له في الموانئ المصرية ويبعد عن الفردقة جنوباً نحو ٤٥ ميلاً بحرياً . وتشرف على مينائه  
جزيرة رملية تمتد ٤ ٣/٤ الميل طولاً و ١ ٣/٤ الميل عرضاً . وتصلح هذه الجزيرة لأن تكون موقفاً  
لمدفعية قوية بعيدة المرمى تحمي الميناء من جهة البحر في دائرة واسعة

تصلح سفاجة لأن تكون قاعدة بحرية عظيمة يأوي اليها أي أسطول مهما تعظم سفنه وكذلك  
يصح أن تكون محطة هامة للطائرات البحرية . وقد يكون في الوسع جعل هذا الميناء أكبر الموانئ  
المصرية في البحر الأحمر وعلى الأخص اذا اتصل بداخلة الوجه القبلي بعد شق الطرق منه واليه  
وتقع القصير جنوبي سفاجة على نحو ٢٥ ميلاً بحرياً وهي ميناء مكشوف غير محصن تحصيناً  
طبيعياً ولا تصلح لأن تكون ميناء حربيّاً . ولكي تكون خطاً دفاعياً بحمي مديريات  
الوجه القبلي يجب ان توجد بها مدفعية قوية تحميها من الغزو البحري . وكانت القصير أهم الموانئ  
المصرية قبل الفتح العثماني على رأس الطريق المباشر لنقل البضائع التي ترد الى داخل القطر  
والموانئ الأوربية . واستمرت كذلك إلى أن كشف طريق رأس الرجاء الصالح . وقد فطن  
نابليون الى ما لها من خطير الشأن الحربي في أثناء حملته على مصر . وكانت في أيام المغفور له محمد  
علي باشا من الموانئ المحصنة ولكن بمجرد فتح قناة السويس فقدت ما بقي لها من شأن

﴿ مرافئ شبه جزيرة سيناء ﴾ شبه جزيرة سيناء جزء من قارة آسيا يمتد حدها

(١) اقتبسنا المعلومات المتعلقة بموانئ البحر الأحمر من مقال نشر بجريدة القطم بتوقيع اسم مستعار  
« نحو خمس » نشر منذ عام ونصف



من قناة السويس الى الخط الواصل بين رفح على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وبين طابا بالقرب من رأس خليج العقبة . وأهم مدنها العريش والطور وكانت نخل في يوم من الأيام عاصمة سيناء وهي اليوم نقطة مهمة . ثم أبو زينة

تبعد أبو زينة خمسين ميلاً عن السويس وعلى مسافة ١١ ميلاً الى الجنوب الشرقي من جبل حام فرعون ونحف بها مياه ضحلة مسافة ثلاثة أرباع الميل في اتجاه جنوبي . وهي مقر شركة تعدين سيناء لاستخراج المنجنيز . ويقابلها على الشاطئ الأفريقي مرسى ثلمل ( Thelme ) . وعلى مسافة ١٢٦ كيلو متراً من أبو زينة تقع الطور التي يطلق عليها مفتاح شبه جزيرة سيناء . وهي صالحة لأن تكون محطة للتموين البحري

كانت للطور مكانة تجارية عظيمة في أعمال التجارة الهندية وكانت مركزاً لواردات الشرق الأقصى وصادراته بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر . ولما كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح هبطت منزلة خليج السويس ( منذ القرن السادس عشر ) ثم عادت فارتفعت بعد فتح القناة (١) . وكانت بالطور قلعة ترى أطلالها الى اليوم هي متصلة بطريق ممد بميناء السويس (خليج العقبة) نكلمنا عن موانئ خليج السويس المصرية . وتحدث الآن عن أهم ما في خليج العقبة من ثغور

تتمتع العقبة بميزتين جليتين جعلتا لها مقاماً ممتازاً . هما موقعها الحربي الحصين وموقعها التجاري الفذ . فهي من الوجهة الحربية تسيطر على الخليج المعروف باسمها سيطرة مطلقة تجعل الأسطول الراسي في مينائها آمناً لأن هذا الخليج حصن طبيعي خصوصاً اذا أكل الانسان عمل الطبيعة فزاد في تحصينه

والعقبة مفتاح شبه الجزيرة العربية اذا وقعت في أيدي العدو هددت بلاد العرب . ولا يقل موقع العقبة التجاري شأنه عن موقعها الحربي فهي واقعة على مفترق طرق مصر والعراق والجزيرة وعلى خليجها تلتقي حدود الحجاز ومصر وفلسطين وشرق الأردن

وكانت للعقبة منذ الحروب الصليبية منزلة حربية . فقد حاول أحد أمراء الصليبيين واسمه الفارس رجينالد دي شانيون الاستيلاء عليها . فاحتلها واعدَّ اسطولا عوّل بواسطته على مهاجمة الديار المقدسة في الجزيرة العربية . وسرعان ما نفذ قراره وأبحر من العقبة بعد ما جهز حملته في الشام ووصل الى جدة واحتلها وسار منها الى مكة . غير ان القبائل الضاربة بين جدة ومكة لم تمكنه من تحقيق حلمه فسطت عليه وأعملت في رجاله القتل والسلب فرجع مهزوماً الى الكرك واذا رجعنا الى تاريخ العقبة منذ العصور الوسيطة وجدناها خضعت للسلطان المصري



يؤيد ذلك قلعتها القائمة الى اليوم وهي قلعة تحتفظ جدرانها باسم باني القلعة السلطان قنصوه القوري. وتواجه العقبة ميناء طابا الصغيرة

﴿ جزر البحر الأحمر ﴾ بالبحر الأحمر بعض الجزائر لا شأن كبير لها يسكنها حراس الفئارات . ولا يعرف عنها اكثر مما ورد في تقارير البعثات العلمية التي أوفدتها جامعة فؤاد الأول لدراسة طبائع الحيوانات المرجانية والأعماق والنباتات البحرية . ولكن لا يفوتنا ان نقرر مكانة هذه الجزائر لاعتبارات عسكرية وأهمها : —

الأشرقي وجوبال وشدوان وجفاطين وزبرجد ( سنت جون ) . وفي خليج العقبة ثلاث جزائر هي تيران والسناقر وفرعون. ويطلق على جزيرة شدوان «صخرة جبل طارق مصر» او جزيرة كلاب البحر وهي منيعة الموقع جبيلة الطبيعة تقع في نهاية خليج السويس من الجنوب وتبعد ١٧ ميلاً عن الفردقة شرقاً . وتتوسط جوبال مدخل خليج السويس البالغ عرضه ١٢ ميلاً ويبلغ طول الجزيرة ثمانية أميال وعرضها ميلين ونصف ميل في أوسع اجزائها . ويبلغ ارتفاع أعلى تلالها ٩٩٠ قدماً وتقطع تلالها وديان كثيرة وتحيط بالجزيرة شعب مرجانية . وهذه الجزيرة ذات موقع حصين تتحكم في طريق الملاحة الدولي بين الشرق والغرب

ولذلك لا يجهل احد خطر شأن موقعها الارتفاع به الى اقصى حد ممكن في حماية خليج السويس والدفاع عن قاعدة الفردقة . فاذا انتقلنا الى جزر جفاطين وهي خمس جزائر صغيرة وجدناها قاحلة . وهذه الجزائر تبعد عن جزيرة شدوان جنوباً مسافة متفاوت بين ١٢ الى ١٧ ميلاً وتقع بعيدة عن الشاطئ المصري بمسافة سبعة اميال

وبالقرب من رأس بناس تقع جزيرة الزبرجد ( سنت جون ) وهي صغيرة مستديرة الشكل ترتفع سبعمائة قدم فوق سطح البحر ويتوسطها تل بركاني . وقد كانت الجزيرة في ايامها الماضية مشهورة بزبرجدها ولكن ضاعت أهميتها خلال المائة عام الاخيرة

﴿ جزر خليج العقبة ﴾ يمتد خليج العقبة ٩٦ ميلاً ويختلف عرضه من ٧ الى ١٤ ميلاً وتشرف على شاطئيه جبال جرانيتيه شاهقة . وتهب عليه رياح عاصفة شديدة في معظم اوقات السنة فتعذر الملاحة الشراعية فيه . وتكاد تسد مدخل الخليج جزيرة تيران التي تمتد الى الشاطئ الاسوي بسلسلة من الشعاب المرجانية . وهي تبعد مسافة اربعة اميال عن شاطئ شبه جزيرة سيناء

تمتد جزيرة تيران سبعة او ثمانية اميال طولاً وخمسة عرضاً . وتقع في منتصف ساحلها الجنوبي اعلى قمة في الجزيرة يبلغ ارتفاعها سبعمائة قدم . اما الجزيرة فمغطىها رملي . تتحكم هذه الجزيرة في مدخل خليج العقبة . ولذلك فهي مهمة جداً من وجهة الدفاع السعودية . وتقابلها



على الساحل المصري نقطة لا تقل عنها شأنًا من الناحية العسكرية وهي منطقة رأس بناس التي تبعد عنها ميلين . وهناك جزيرة السنافر التي تبعد ميلين شرقي تيران . وهي جزيرة كبيرة مستديرة الشكل وفيها مرسى طيب لرسو السفن لأنه في مأمن من الرياح الشديدة . وعلى مقربة من سنافر جزيرة شوشه وبرقان

وعلى بعد ثمانية أميال من العقبة تقع جزيرة فرعون ويبلغ محيطها نحو ألف متر وهي مؤلفة من اكتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة . وعلى فتي الاكتين خرائب حصن قديم لم يبق منه سوى صهريج ماء ومخزن للغلال والذخيرة ومساكن للجند

﴿ البحر الأحمر والإمبراطورية ﴾ ان قناة السويس وباب المندب مفتاحا هذا البحر الذي يعتبر ميداناً من أهم ميادين النضال بين بريطانيا ودولتي المحور . وقد علمنا في مقال سابق منزلة قناة السويس في بناء جامعة الأمم البريطانية<sup>(١)</sup> ويعتبر باب المندب باباً حصيناً لصاحبه السيطرة على الداخل الى البحر الأحمر والخارج منه . والمسيطر عليه يقبض بيده على أهم خطوط المواصلات الأوربية الى الشرق

لقد عنيت بريطانيا منذ عام ١٩٣٧ بعد اتمام خضوع الحبشة لاطاليا واهتمامها بعينائي عصب ومصوع ، بتحسين سواحل بوغاز باب المندب تحصيناً قوياً حديثاً لمنع كل قوة بحرية معادية من الوصول الى المحيط الهندي مارة بهذا البوغاز اذا اقتضت الحرب ذلك ولتتجسس وتقضي على أية قوة بحرية معادية يمكن أن تفلت من رقابة حصون البوغاز لتدخل البحر الأحمر . والاحتفاظ بهذه السيطرة معناه استمرار السيادة البحرية لبريطانيا وحدها فقط في هذه المياه الآسيوية الأفريقية وقد رأينا بعد اشتراك ايطاليا في الحرب القائمة كيف أصبحت سفنها الحربية سجيناً هذا البحر حتى بعد انسحاب بريطانيا من الصومال وإخلائه من قواتها العسكرية<sup>(٢)</sup> وسواء أكان البحر الأحمر مكملاً للبحر الأبيض المتوسط ام مستقلاً بمياهه فإنه يعتبر شرياناً حيويّاً للإمبراطورية التي بسود تقودها في الشرقين الأدنى والأوسط

(١) راجع عدد المقتطف بتاريخ نوفمبر ١٩٣٥

(٢) للصومال البريطاني أهمية ثانوية للإمبراطورية بالنسبة الى وجود عدن وجزيرة سومطرا وبريم وغيرها من مناطق النفوذ الانجليزي بين المحيط الهندي والسويس . ولكننا نقول ان الصومال البريطاني كان احدى مناطق أفريقية الشرقية المصرية أضيفت الى الاملاك الحديوية بالفرمان الصادر في جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ هـ ( ١٨٧٥ م ) بعد فتح القائد ردوف باشا لمدينة هرر وقد انسحبت الجنود المصرية منها من بربرة وهرر عام ١٨٨٥ بعد صدور الأمر بإخلاء السودان فاستولى الانجليز على زيلع وبربرة . وهذه الأخيرة اهتم بها الحديوي اسماعيل ونصب عليها المحافظ المصري رضوان باشا البحري فشيّد عدة مباني حكومية كالجرمك والحمام والمحافضة والتكشبات العسكرية وأجرى اليها الماء العذب في أنابيب من مسافة بعيدة فكثرت فيها العمارة

( حقائق الاخبار لاسماعيل سرهنك باشا . ص ٨٩ — ٩٠ )



# عبرة السنة الاولى

(١)  
من الحرب

في الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من مساء الخميس الموافق للسابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ جلست أمام هذا المذيع . كان أسبوع كامل قد انقضى على بدء اجتياح المانيا لبولونيا وأربعة أيام على اعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا . فقلت في استهلال حديثي في ذلك المساء : في هذه الحرب يلتحم تياران متعارضان من تيارات الاجتماع البشري . أحدهما هو النابع من القول بأن للانسان قيمة في ذاته . وان الاجتماع البشري لم يبلغ ما بلغه من مراتب الارتقاء الاً باطلاق الحرية للفرد يفكر ويستنبط ويستكشف ويعثر ثم ينهض من عثرته ويخطئ ثم يصحح خطأه بالتجربة والامتحان . كذلك نشأ كبار الفلاسفة والشعراء والعلماء والرواد وكذلك ردوا آفاق الجهل وهاجموا معازل أسرار الطبيعة وفتحوا بعضها فخلقوا بالانسانية رويداً رويداً فوق المستوى الحيواني الوضع ، كما تحلق الطائرة فوق أطباق الغمام القاتم . هذا التيار العظيم السائر بالانسان من الاستعباد للطبيعة والخرافة والطغيان نحو الحرية والكرامة هو خلاصة تراث الانسانية من خمسة آلاف سنة من التاريخ المدوّن الى يومنا هذا وأما التيار الآخر فهو النابع من القول بأن هذا الهيكل البشري آلة عمياء ، ويا ليتة آلة تامة . فانه في عرف أصحاب هذه الفلسفة الاجتماعية ليس الاسد في ترس في آلة عمياء يديرها طاغية متحكم لا حد لشهوته ونحمة . واستشهدت بقول الرئيس روزفلت من خطبة له قال : عندما تنكر كرامة الروح الانسانية في بلدان كثيرة وعند ما يجعل ذلك الانكار شعاراً لدعاية تتحرك بمقتضاها الجيوش ، لا يسع أحداً الاطمئنان الى ان سلامة بلاده أو سلامة داره مضمونة . وبقول لورد ديلاوار : ان هذا التحدي أبعد غوراً من مسائل سياسة القوة . انه يرد جميع الافكار والمذاهب التي قامت عليها الحضارة الى الوقوف موقف الدفاع وقد دار الزمن دورة كاملة منذ اذعت ذلك الحديث . فانقضت سنة كاملة على نشوب الحرب ، وهأنذا أجلس مرة أخرى أمام المذيع نفسه ، لألخص حوادث العالم في أسبوع جميع هذه الحوادث بصغر شأنها — وبعضها كالاتفاق البريطاني الاميركي عظيم الشأن — بالقياس الى ذكرى انقضاء السنة الاولى ، على صراع جيازة دائر ، بين نوعين من الحضارة ، وعلى مصيره يتوقف مستقبل الانسانية مدى ألف سنة من التاريخ . فاذا خذل نوع الحضارة الذي تؤمن به — على ما فيه من نقائص ومساوئ يجب اصلاحها — عادت الانسانية مدى ألف سنة ، ألف سنة الى الوراء

(١) حديث لرئيس تحرير المقتطف أذاعه من محطة الاذاعة الاسلامية للحكومة المصرية في مساء ٥ سبتمبر ١٩٤٠



وما هو لباب هذه الحضارة التي تؤمن بها ؟ ليس لبابها تقدمها المادي الصناعي مع اننا نهر به . ولا ثروتها التي أفضت بها الى الاستعمار . فالثروة بحد ذاتها محقرة والاستعمار ممقوت . ولكن لبابها هو خلاصة التراث الذي خلفته لها طائفة من الدول بانية على ماسبقها في رفع شأن الانسان واعزاز كرامته . وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . كان نصيب فرنسا الكريم في بناء هذه الحضارة وتنشئة روحها الاصلية ، ولید مفكرها الأحرار في القرن الثامن عشر وثورتها الكبرى في واخره . ولباب هذا النصيب تأييد ما للعامل الانساني من شأن عظيم في بناء الحضارة والايمان بالعقل والاصرار على ان للانسان المفكر كرامة في ذاته . وليس هذا بالشيء الجديد في التاريخ . فقد سبقت الحضارة الاسلامية العربية اليه عندما كانت في ابان عزها فبهرت العالم والتاريخ بعلومها وفنونها ، وهي وليدة هذه الروح العالي . ولكن سبعة قرون او ثمانية انقضت قبل ان استكشف مفكرو فرنسا هذه الحقائق الأساسية مرة ثانية ، وجعلوها عناصر أساسية في نظام فلسفي ، ثم تمكنوا عن طريق الثورة الكبرى من جعلها أركان النظام السياسي الاجتماعي

ولا يقل نصيب بريطانيا عن نصيب فرنسا في بناء هذا الصرح الفخم . فبريطانيا ابتدعت فكرة الاعتماد المالي ( Credit ) وجعلت أساسه الثقة بكلمة المتعاقدين وامكان الاستناد الى قول الرجل المستقيم . ثم أنها كانت الدولة الأولى التي أدركت ان السلطان السياسي ينطوي على شيء أهم من مجرد التعبير عن مصالح الجماعة المشتركة ، ووضعت ادراكها موضع التنفيذ ، وفهمت ان السلطان والحرية غير متنافيين ، وأن في وسع الانسان التمتع بالحرية بغیر ان تنشر الفوضى ، وان الحكومة تستطيع ان تمارس السلطة بغیر ان يعم الاستبداد ، أي ان بريطانيا ابتدعت مذهب الأحرار في الدولة والاقتصاد وتقدمت به يمينها الى صرح الحضارة

أما الولايات المتحدة الاميركية فلم يكن نصيبها الأهم في نظري ، عظمة تقدمها المادي وسعة نطاقه . بل كان نضال الشعب الاميركي نضالاً متواصلاً ، محملاً على أجنحة من النزعة الكمالية ، في سبيل تعزيز كرامة الفرد برفع مستوى معيشته . فالولايات المتحدة ما فتئت تسعى الى اصلاح الانساني بسعيها الى جعل الناس أصحاب أبداناً وأجود قوتاً وأوفر فرصاً ووقتاً للرياضة والمتعة الروحية والعقلية . فالولايات المتحدة هي بلاد الارتقاء الاجتماعي ، وبين ما أثرها الكثيرة ، يلوح لي ان مآثرة الاهتمام بالارتقاء الاجتماعي هي المآثرة التي يجب التنويه بها خاصة عندما نذكر بلاد فرانكلين ولنكن وفورد في بناء الحضارة الحديثة

وكيفاً قلبنا النظر في هذه اللوحات الثلاث نجد المبادئ نفسها مفرغة في قوالب متباينة . فنتة أولاً الفكرة الأساسية التي قوامها ان الفرد الانساني غاية في حد ذاته . وليس مجرد آلة



أو أداة تحرّكها قوة طاغية ، لتحقيق هذا الغرض أو ذاك . فالفرد الانساني ، يعتبر وفقاً لهذه الفكرة ، شيئاً نفسياً ثميناً لمجرد أنه فرد انساني . ثم نستخرج من هذه الفكرة الأصلية ، القول بوجود منح هذا الفرد بضع حريات أساسية — لكي يتاح له النمو العقلي والروحي المتسق — أن تطلق له الحرية ليزن الأمور ويحكم عليها بنفسه . وأن يناقش ويبحث . وأن يعرب عن رأيه . فالحرّيات المدنية والدينية ، هي روح الحضارة الحديثة ، هي لبابها ، لا المحترعات ولا المكتشفات العلمية وتطبيقاتها الصناعية . لان المحترعات والمكتشفات وتطبيقاتها لم تنبع إلا من الاعتراف بكرامة العقل وحرية الانسان

فروح الحضارة الحديثة الذي نؤمن به ، حر مطلق كالجدول أو كالشعلة . وهذا الروح لا بد أن يموت عندما تتخلى الحضارة عن هذه الحريات ، لأنها جزء لا غنى عنه من الهواء الذي تنفّس . عند ذلك تخمد المواهب المولدة المبدعة التي رفعت تلك الحضارة الى ذرى العظمة العلمية والصناعية وتقدو وكأنها جهاز كسر محركه أو جسم فقد روحه وسر الحياة فيه . ولكن ماذا يحدث اذا سيطر على العالم ، على الاجتماع البشري ، سلطان يستمد وحيه من مبدئي «الزمامة المطلقة» و«الكلية الشاملة» — وهما ركنا النازية والفاشية ؟ وليس هذا السؤال في منزلة الفرض أو الوهم . فالمانيا وحليقتها — أو قل المانيا وحدها — تحارب لتفوز بهذا السلطان . وليس بين الكتاب الذين عرفوا باصالة الرأي ، وتبعوا نشوء الحطة النازية ، وتكشفتها ، من يشك في أن حدود تلك الحطة لا تتحصر في اوربا وحدها

ليس ثمة ريب في ان عالماً تسيطر عليه المانيا النازية ، وتشرف على تنظيمه ، سيختلف اختلافاً بيناً اساسياً ، عن نظام العالم الذي ألفه البشر في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، وهو النظام الذي كان يستمد وحيه ، أو بدأ يستمد وحيه ، وينشئ قواعده على أساس المبادئ التي تقدم ذكرها ، وهي الاعتراف بكرامة الفرد ، واحترام العقل ، وبناء معاملات الناس على الثقة ، والتمتع بالحرية بغير فوضى ، وممارسة السلطة بغير استبداد ، والسعي الى رفع كرامة المرء برفع مستوى معيشته

لست اشك في ان عالماً تنظمه السيادة الالمانية بكفاءتها المعروفة ، وتطبق فيه الأساليب الصناعية الالمانية الدقيقة المتقنة الحكيمة يزداد فيه الانتاج ازدياداً عظيماً . وليس بين الذين تبعوا ارتفاع المانيا الصناعي منذ اواخر القرن التاسع عشر الا واستوقف نظره وملك اعجابه ، مشهد الكفاءة في التنظيم الدقيق ، محشودة في قناة واحدة وموجهة الى فرض واحد . ثم انني أعلم ان للحرية المطلقة مساوئها . وانه عندما تطلق الحرية للفرد ليعمل وفقاً لرغبته واستجابة لحوافره المتباينة ، ينجح مهما يكن ذكياً ، ناحية الاضطراب . ولكن في ظل هذا النظام الالمانى ، ستظل



كل حركة وكل سكتة من حركات كل فرد وسكنتاته ، لخدمة غرض واحد، ولن يسمح لأحد بأن ينفق ذرة من نشاطه وجهده إلا في سبيل ذلك الهدف . ان صورة العالم في ظل نظام كهذا لتبعث على الإعجاب ، لو لم تكن الصورة تحتوي على موطني ضعف فيها

ذلك أن تحقيق هذه الصورة يقتضي من البشرية ثمناً فاحشاً . وهو التجاوز عن كل شيء له صلة بالحياة الحرة القائمة على أساس احترام الفرد وعقله وشخصيته . فجميع وجوه النشاط الانساني ، في عالم كالعالم الذي وصفت ، معبأة بعبئة عسكرية موجهة في قناة واحدة ضيقة ، نحو هدف واحد . فصورة البشرية الحرة التي يتساوى فيها الناس في الاحترام الواجب لهم لأنهم بشر ثم بتفاوت هذا الاحترام وفقاً لتباين المواهب والنجاح في استخدامها ، تنتفي وتتهار ، وتحل محلها صورة البشرية مقيدة بقيد حديدي ثقيل ، صورة الناس ومصائرهم في أيدي فئة قليلة من «المتفوقين» أو من الذين يحسبون انفسهم متفوقين ، فيستغلون الجماهير لأن هذه الجماهير خلقت في نظرهم من جيلة أدنى وأحق من جيلة الأسياد

هذا النظام يفضي حتماً الى زيادة الانتاج ولكنه يشمل انكار مثل انسانية عالية هي لباب الحضارة كما نفهمها . وهل الهدف مما يستحق هذه التضحية العظيمة في سبيله

يؤخذ من أقوال الذين نفذوا الى حقيقة الاهداف البعيدة التي يتوخاها زعيم الوطنية الاشتراكية ، ومن بعض الأعمال التي تمت حتى الآن في البلدان التي أخضعت بالقوة أو بالتهديد بها في أوربا ، ان النظام الاجتماعي الذي ينتظر فرضه على العالم هو نظام هرمي الشكل . فقد قال المهرتار للهر من روشننج إنه لا يعرف حضارة تستطيع ان تقوم على غير أساس العبودية واذن يجب ابداع اشكال جديدة من العبودية . فقد كانت الشعوب المغلوبة وأسرى الحرب عبيداً للقائمين منذ العصور الأولى . أما في المستقبل فالقوميات المغلوبة على أمرها يجب أن تكون الطبقة السفلى في الاجتماع الوطني الاشتراكي وعلى عواتقها تقع مهمة القيام بالاعمال الزراعية والصناعية التي لا تحتاج الى اتفاق فني . ولا يكون لها حقوق ما . وفوق طبقة هؤلاء تكون طبقة الألمانين وحلفائهم ومنهم يؤخذ العمال المتقنون والمديرون وموظفو الحكومات . وفوق هؤلاء تقوم طبقة خاصة من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي ، ومنهم يجند جيش الثورة . وعلى قمة هذا الهرم الانساني تقوم طبقة الاشراف الجدد ، طبقة النخبة الوطنية الاشتراكية وهي طبقة الحكام المتمتعين بالحرية المطلقة واحتكار السلطان — هذه هي طبقة الأسياد

هذا هو الهدف البعيد . والكفاية في سبيل تحقيقه يجب ان تقاس بمقياسه . فالكفاية لست بجذاتها هدفاً اجتماعياً أعلى يطلب لذاته . وإنما هي وسيلة الى غاية . ونحن عند ما نبغها ونخلها نجدها أخصر وأفضل طريق الى تحقيق رغبة ما



فالكفاية مقياس لقيمة الاسلوب . وليست بحال ما مقياساً لقيمة الهدف . فقد اتوسل بكفاية ممتازة الى تحقيق هدف سافل . والهدف الأعلى الذي تتطلع اليه الانسانية ، والدولة كذلك ، ما فتى منذ ما كتب افلاطون جمهوريته ، العدل الاجتماعي . فالكفاية مهما تبلغ من الاحكام والكمال لا يسوغها مسوغ في الكون ، اذا كانت وسيلة الى هدف غير عادل .

وأظن ، بل أوقن ، ان نظرية « الأسياذ الجدد » لا يمكن ان تعتبر بحال ما هدفاً اجتماعياً عادلاً للانسانية ، واذن يجب ان نرفض الهدف وكفاية الوسائل المستعملة في سبيل تحقيقه وهذا لا يعني ان النظام المقابل لنظام « الأسياذ » منزّه عن كل خطأ ، وان الاجتماع الذي بني في ظله خال من كل فساد . كلاً . وانما يعني ان هذا النظام ينطوي — بحسب المبادئ التي هي روحه ولبابه — على امكان الاصلاح ، واذن فهو ينطوي على مثل أعلى تتطلع اليه الانسانية وتسعى جردها الى تحقيقه متعثرة ، مضطربة ولكنها ابدأ ساعة فأرجلها تدمى وعيناها في السماء وكذلك ترون انه وقد انقضت سنة كاملة منذ نشبت هذه الحرب الطاحنة بدأ يتضح لنا ،

ان العالم واقف بين حضارتين كلناهما تطلب الزعامة العالمية لروحها . وعلى العالم ان يختار والمسألة بهذا الوضع ، ليست مسألة اوربية فحسب ، بل هي مهم جميع الأمم التي خارج اوربا كذلك . وعلى وجه خاص الولايات المتحدة الأميركية ، لأنها بنت حياتها الخاصة والعامة ، على مبدأ كرامة الفرد ، واحترام العقل ، واقامة الميزان بين الحرية والسلطان ، بين حق الفرد والواجب عليه . ولذلك فهي مسألة عالمية النطاق ، وبهذا التفسير يخرج الصراع الدائر الرحي الآن من نطاقه الأوربي الى نطاقه العالمي

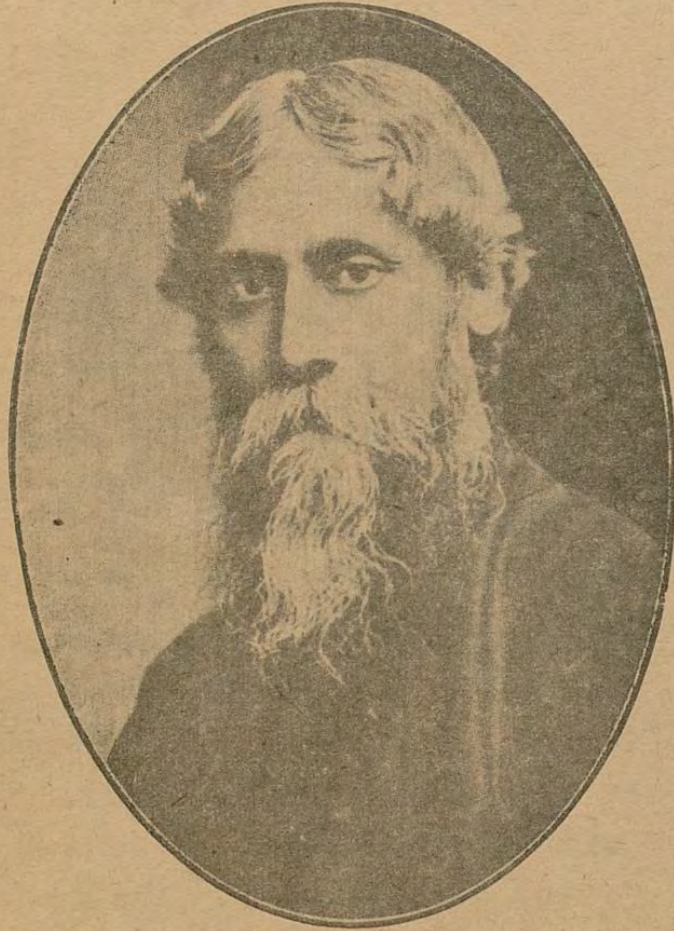
وليس أدل على صحة هذا القول الأخير ، من عقد الاتفاق البريطاني الأمريكي ، وهو أهم حوادث الاسبوع الماضي ، ولعله من أهم حوادث الحرب حتى الآن ، لما ينطوي عليه من تأثير مباشر ومغزى بعيد . أما تأثيره المباشر فتعزيز الاسطول البريطاني بخمسين مدمرة أميركية ، وأما دلالة فهي ان الشعب الأمريكي ليس واقفاً بمعزل عن هذا الصراع العالمي ، وأما مغزاه البعيد فهو حسابان هذا الاتفاق خطوة أولى نحو نوع من الاندماج الديمقراطي هو أمل العالم بعد الحرب . وقد أشار المستر تشرشل في خطبته الأخيرة الجامعة الى هذا فقال : « ولا ريب في ان هذا العمل يعني ان هاتين الديمقراطيتين العظيمتين . عليهما ان تمتزجا وتشتركا قليلاً في بعض شؤونهما وذلك لمصلحة الفريقين وللمصلحة العامة » . ثم قال : « انه لا ينظر الى هذا العمل بشيء من الريب او الجزع ، وليس في وسعه ان يفقه لو شاء ذلك . وليس في قدرة أحد ان يفقه انه كنهر المسيسيبي يضي في جريانه . فليجر مليئاً زائحاً مندفعاً الى ان يبلغ مروجاً أنضر وأياماً أزهر » . واذا كان في هذا الاشتراك والاندماج نواة لاشتراك أوسع واندماج أعم ، فلعلنا لانحسر السلم مرة أخرى بعدما نكسب الحرب



مراجعة المقنطف

# البستاني

للشاعر الفيلسوف الهندي رابندرانات طاغور



نقلها الى العربية : كامل محمود حبيب



مقدمة

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه أناشيد (البستاني) أقدمها بين يدي قارئ العزيز، وهي أناشيد غزلية كتبها طاغور بالهندية وترجمها هو إلى الانكليزية، فيها رقة النسيم العليل، وابتسامة الفجر الضاحك، وحلاوة الأمل الباسم، وهي خمس وثمانون نبضة من نبضات قلب شاعر سما بقلبه وعقله معاً فوق الانسانية ليهبط عليها بوحى من نفسه الشاعرة الرقيقة وهي تجمع بين الغزل الرقيق الجذّاب الذي لم ير مثله في العربية، وبين الفلسفة الصوفية العميقة التي كشفت عن روح الشرق السامية. فيها هي ذاتي أنشرها بين يدي القارئ الكريم علّه يجد فيها لذة استنشع ثمرها كلما جال البصر بين سطورها والله أسأل أن يوفقني ... آمين

تمام





## البستاني

للساعر الفيلسوف طاغور

— ١ —

الخدام — يا مملكتي ، أسبغي على خادمك بعض فضلك !  
 الملكة — لقد انقضّ السامر وتفرّق الخدم ، فلماذا جئت وقد انتثر عقد الليل ؟  
 الخدام — حين تخلو مملكتي إلى نفسها ، أبتغي أنا إليها الوسيلة  
 لقد جئت أسألك ما ادخرت لخادمك من عمل  
 الملكة — وماذا تبتغي في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟  
 الخدام — مُري فأكون بستاني حديقة أزهارك  
 الملكة — يا للحمق !  
 الخدام — سأنفّض عن نفسي كل عمل سوى هذا  
 سألتني بسيفي ورمحي جانباً . لا تقذني بي إلى غيابة قصورك النائية ، ولا  
 تدفعني بي إلى ميدان القتال ، ولكن مُري فأكون بستاني حديقة أزهارك  
 الملكة — وماذا تريد أن تعمل هناك ؟  
 الخدام — سأقوم على خدمتك في أيام فراغك  
 وأتعهد حشائش الطريق لتظل خضراء ناضرة... الطريق الذي يجتازين  
 كل صباح ، حيث الأزهار التي تسير الهوينا في طريق الفناء ، تحيي قدميك  
 عند كل خطوة في ولاء  
 وأرجع بك الأرجوحة بين أغصان دوحة السابترتا ، حيث تتزاحم أشعة



القمر — عند الفسق — خلال أوراق الشجر لتقبل ذيل مرطك  
ثم أترع مصاييح فراشك بالزيت العطر، وأنثر على موطن قدميك الصندل  
والزعفران في دقة واتقان

الملكة — وما تنتظر من أجر ؟

الخادم — أجري أن تأذني فأمسك بيدك وكأنهما زهرتان ناخرتان من زهرات  
اللوئس ، فأزين معصمهما بسوارين من زهر ، وأصبع أخصي قدميك  
بعصير زهرة (الأشوكا) الأحمر ، ثم أنفض عنهما ما عساه أن يعلق بهما  
من ذرات التراب

الملكة — لقد أجيت سؤلك ، يا خادمي ، فاذهب فأنت الآن بستاني حديقة أزهارى

— ٢ —

« آه ، أيها الشاعر ، إن المساء يقبل في أناة ، والشيب يدب في شعراتك »  
« أفقتسمع من خلال تأملاتك وأنت في خلوتك رسالة الغيب ؟ »  
قال الشاعر « حقاً ، إنه الليل ، وأنا جالس أسمع لأن صوتاً سيرتفع  
— في جوف الليل — من جانب القرية »

« وأنا أرقب القلوب الشابة وهي تتلاقى بعد تيه ، ونظرات الهوى وهي تنطلق  
تطلب الموسيقى لتصدع السكون من حوالها وتتحدث إليهما »  
« من ذا يستطيع أن ينسج أغانيها المتأججة على منواله ، إن أنا انزويت على  
شاطئ الحياة لا أستشعر في نفسي سوى الموت والحياة الأخرى ؟ »

« لقد توارى أول نجم بزغ عند الغروب »

« ووميض نار الموتى <sup>(١)</sup> إلى جانب النهر الهادى يخمد رويداً رويداً »  
« وعواء أبناء آوى يرتفع من جنبات المنزل الموحش في ضوء القمر الشاحب »  
« اذا تلبثت مسافر هنا قليلاً ليرقب الليل ، وأطرق حيناً ليملاً مسمعيه من  
من هممة الظلماء ، فمن ذا الذي يسكب في أذنيه أسرار الحياة إن أوصدت بابي  
من دونه لأتحلل من قيود الانسانية ؟ »

« إنها خرافة : أن يدب الشيب في شعراتي »

(١) نار الموتى: هي نار تشب عند الهنود ليحرقوا فيها جثث موتاهم، وهذا بعض طقوسهم الدينية



« إنني دائماً شاب كأصغر شباب القرية ، وشيخ كأكبر شيوخها »  
 « بعض الناس ترسم على شفاههم ابتسامة عذبة رقيقة ، والبعض يشع من  
 نظراتهم الحبث »  
 « بعض تترقق العبرات في أعينهم في وضوح النهار ، والبعض يسدلون على دموعهم  
 سترأ من غطش الليل »  
 « كل أولئك في حاجة شديدة إليّ ، فأنا لا أجد منفسحاً من عمري لأفكر  
 في الحياة الآخرة »  
 « إنني أعيش مع كل أولئك ، فإذا يضربني إن دبّ الشيب في شعراتي »

— ٣ —

عند الصباح طرحت شبكتي في البحر  
 ثم جذبتها من الهوة المظلمة فألفت فيها أشياء ذوات بهجة وجمال . بعض  
 يشع كالابتسامة ، وبعض يلمع كالعبرة ، وبعض يتألق كأنه خد عروس  
 وعدت الى داري أحمل ثقل يومي ، فإذا التي أحب جالسة في الحديقة تعبت  
 بأوراق زهرة

فترددت حيناً ، ثم نشرت عند قدميها كل ما حملت ، ووقفت بأزائها صامتاً  
 ونظرت هي إلى أشيائي ثم قالت : « ما أعجب ما أرى ؟ ماذا يفيد كل هذا ؟ »  
 فأطرقت ملياً من خجل ، وطاف بخاطري « أني لم أجهد نفسي في سبيل  
 هذا ، ولم أدفع له ثمناً . إن كل هذا لا يستأهل أن يكون هديتي اليها »  
 ومضى الليل إلا أقله وأنا أقذف بها جميعاً — واحدة فواحدة — الى الطريق  
 وحين أسفر الصبح جاء السائحون ارسالاً . فالتقطوا كل ما قذفت به وحملوه  
 الى بلاد نائية

— ٤ —

ويلي ! ماذا دهام فشيّدوا داري على الطريق الى سوق المدينة ؟  
 إن زوارهم ترسو — وهي مثقلة بما تحمل — الى جانب شجراتي  
 ثم هم يغدون ويروحون ويضطربون في غير رقبة



وأنا جالس أرقبهم . والزمان يمر يشاقل  
فلا أستطيع لهم دفعا ، وهكذا تطوي أيامي

\* \* \*

إن وقع أقدامهم برن — صباح مساء — بأزاء بابي  
وعنأأ أصبح ، « أنا لا أعرفكم »  
وبعضهم تعرفه أنا ملي ، والبعض تنشاه أنفي ، وإنه ليخيل إلي أن دم  
عروقي المتدفق يعرفهم ، البعض بيدولي في أحلامي  
وحين لا أستطيع لهم دفعا ، أناديهم « تعالوا إلى داري أني شتم . نعم ، تعالوا »

\* \* \*

عندما يتنفس الصبح تدوي دقات النواقيس في جنبات المعبد  
فيقبلون وفي أيديهم سلاهم  
وأقدامهم مخضبة بالأحمر الوردي ، وعلى وجوههم شعاع الفجر الندي  
وحين لا أستطيع لهم دفعا ، أناديهم « تعالوا إلى حديقتي واجمعوا ما شتم  
من زهر ، تعالوا إلي »

\* \* \*

وفي كبد النهار بصاعد صوت الطبل لدى باب القصر  
ولست أدري لماذا ينصرفون عن عملهم ليضربوا بأزاء أسوار داري  
إن الزهرات التي تزيّن شعورهم ذابلة ذابئة ، والنغبات تصاعد من  
مزاميرهم واهنة

وحين لا أستطيع لهم دفعا ، أناديهم « تعالوا يا صحابتي ، فالظل تحت  
شجراتي وارف ظليل »

\* \* \*

وفي هجمة الليل يعلو صدى صوت صرار الليل في أرجاء الغاية  
من ذا الذي هفا في أناة ليطلق بابي في رقة ؟  
لم أستطيع أن أنبت وجهه ، وهو لم ينطق بكلمة ، ومن حوالينا السماء ساكنة  
وحين لم أستطع دفع ضيفي الصامت ، رحت أحرق في وجهه من خلال  
الفسق ، ثم تجلت ساعات أحلامي



— ٥ —

أنا لا أجد القرار لأنني أستشعر الظأ إلى ما وراء الحجب  
 وروحي تحلق لتلمس ذبول الغيب  
 يا إلهي ، ما أشد نغم نايك !  
 إنني أنسى — أنسى دائماً — أنني لا أجد جناحين فأطير ، وأنني موثق أبداً  
 إلى هذه الناحية  
 إن في نفسي الشوق واليقظة معاً ، وأنا غريب نزل أرضاً غريبة  
 إن أنفاسك ترف عليّ لتهمس في أذنيّ بالامل البعيد  
 وكلما نك تهبط على قلبي واضحة كأنها بعض لفته  
 يا من لا أجد السبيل إليه ، ما أشد نغم نايك !  
 إنني أنسى — أنسى دائماً — أنني أجهل الطريق إليك ، وأنني لا أجد  
 الفرس المجنح

\* \* \*

إن في القنور ، وقلبي ما ينفك يتخبط في تيهاء  
 في ساعات الحمود ، حين تسدل السحب ستراً منها على أشعة الشمس ، كيف  
 يترأى شخصك اللانهائي في زرقة السماء  
 أيها اللانهائي ، ما أشد نغم نايك !  
 إنني أنسى — أنسى دائماً — أن أبواب داري التي أسكن موصدة عليّ وحدي

— ٦ —

لقد كان الطائر السجين في قفصه ، والطائر الطليق في الغابة  
 وعلى حين غفلة جمعت بينهما يد القدر  
 فصاح الطائر الطليق « تعال نظر معاً الى الغابة ، يا حبيبي »  
 وهمس الطائر السجين « تعال أنت إليّ نعيش جنباً الى جنب في قفص »  
 قال الطليق « بين هذه السياج ؟ أين الفضاء الذي أنشر فيه جناحي ؟ »  
 قال السجين « يا أسفاً ! أنا لا أعرف كيف أستوي مطمئناً في الحلاء »  
 \* \* \*  
 وصاح الطليق « ترنم ، يا عزيزي ، بألحان الغابة »



فقال السجين « اجلس أنت الى جانبي أعلمك الحديث المهدّب »  
 قال الطليق « لا ، آه لا ! إن الأغاني لا تلقن »  
 قال السجين « يا أسفي ، فأنا لا أحسن أن أترنم بألحان الغابة »

لقد كان الحب في قلوبهما عاصفاً ، ولكن أتى لهما أن يطيرا معاً جناحاً الى جناح  
 وتخللت نظرهما قضبان القفص ، وعبثاً حاولا أن يتعارفا  
 ورفت أجنحتهما في شوق ثم انطلقا ينشدان معاً « تعال إلي يا من أحب »  
 ثم قال الطائر الطليق « أنا لا أستطيع أن أكون معك فأنا أحشى الباب المغلق »  
 وهمس الطائر السجين « يا أسفاً ! إني لا أجد القوة في جناحيّ الذاوئين »

### — ٧ —

ياأماه ، ان الامير الشاب سيمر بيابنا ... فكيف أقوم بعمل هذا الصباح ؟  
 أرمني كيف أصقف شعري ، وخبريني أي ثيابي القشبية ألبس  
 لماذا ترمقيني في دهشة ، ياأماه ؟  
 أنا أومن بأنه لن يرفع بصره إلى نافذتي فيحبوها بنظرة واحدة ، وأنه  
 سينطلق من أمامي في لحظة خاطفة ، غير ان نغمت نايه ستندفع الي من بعيد قبل أن  
 تتلاشى في أضعاف الفضاء

ولكن الامير الشاب سيمر بيابنا ولا بد أن ألبس الآن آنق ثيابي

\* \* \*

ياأماه ، لقد مرّ الامير بيابنا وأشعة الصباح تتألق على مركبتيه  
 لقد رفعت عن وجهي قناعه ، وخلعت عقد الياقوت لألقي به في طريقه  
 لماذا ترمقيني في دهشة ، ياأماه ؟  
 أنا أومن بأنه لن يلتقط عقدي وأنه سيتحطم تحت عجلات مركبته ثم يتناثر  
 ببعاً حراً على الارض ، وما من أحد بمستطيع أن يعرف ماذا كانت هديتي ،  
 ولا الى من أهديتها

غير ان الامير الشاب مرّ بيابنا فزعت عن صدري حليته لألقي بها في طريقه



## — ٨ —

حين انطلق السراج الذي الى جانب فراشي ، استيقظت في بكرة الصباح مع الطيور  
وجلست الى نافذتي المفتوحة وعلى شعري المشعث إكليل من الزهور الياقة  
وفي نسمة الصباح جاء المسافر الشاب  
وفي عنقه عقد من لؤلؤ ، وأشعة الشمس تنعكس على تاجه ، فوقف لدى  
بابي وسألني وفي رنات صوته معنى الشوق « أين هي ؟ »  
وخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها الشاب المسافر ، إنها أنا »  
لقد كان الظلام بشلنا ومصباحي خامداً \* \* \*  
وكنت أرتب شعري في أناة  
وعند الغسق أقبل المسافر الشاب في عربته  
وعلى قم جواديه رغبة التعب ، وعلى ثيابه غبار السفر  
فترجّل بأزاء بابي وقال بصوت فيه الجهد « أين هي ؟ »  
فخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها المسافر المتعب ، إنها أنا »  
لقد كانت إحدى ليالي أبريل ، ومصباحي يضطرب في حجرتي  
ونسيم الجنوب يهب في رقة وهدوء ، ويبغاني الزئار بقط في قفصه  
وأنا أرتدي قميصاً في ألوان عنق الطاووس ، ودناراً في لون الثبت الأخضر الغض  
وقد جلست أنا الى النافذة أرقب الطريق القفر  
وفي جوف الليل رحت أهمهم « إنها أنا ، أيها المسافر القانط ، إنها أنا »

## — ٩ —

حين أنطلق وحدي — في جوف الليل — الى من أحب ، يكون الطير قد  
أمسك عن الغناء ، والرياح قد زعت عن زفيها ، والدور على جانبي الطريق  
قد شملها السكون

غير أن خلاخيلي هي التي ترن عند كل خطوة لتشعري الحزني  
وحين أجلس في منفي أسمع وقع أقدامه ، أجد حفيف أوراق الشجر قد \* \* \*



خمد ، وأمواء النهر هادئة كأنها السيف ، على نخذي الجندي التأم  
غير ان قلبي هو الذي يدق في عنف... وأنا لا أدري كيف أهدي من روعه  
\* \* \*  
وحين يأتي من أحب فيجلس الى جانبي فيقفض جسمي انتفاضاً وأغمض عيني  
يكون الظلام أسدل مسوحه ، والرياح راحت تعصف فتطفي سراجي ، والسحب  
تسحب ذيلها على الكواكب  
غير ان حلى صدري هي التي تشع فينبعث منها النور وأنا لا أستطيع سترها

— ١٠ —

يا عروس ، دعي عملك جانباً ، واستمعي ، فالضيف قد أقبل  
أقسمين ؟ إن يديه تداعبان رتاج الباب في رفق  
فاحذري أن يرن خلخالك رناته المدوية ، وأن تخرج خطواتك حين لقياء  
يا عروس دعي عملك جانباً ، فالضيف قد أقبل مع المساء  
\* \* \*  
لا ، ليس هذا صوت الريح الصر — يا عروس — فلا تفزعي  
إنها ليلة مقمرة من ليالي ابريل ، والظلال في فناء الدار شاحبة ، والسما من  
فوقنا صافية

اسدلي قناعك إن شئت واصحي السراج الى الباب إن استشعرت الخوف  
لا ليس هذا صوت الريح الصر ، يا عروس ، فلا تفزعي  
\* \* \*  
ولا تتحدثي إليه إن أحسست الحجل وقني إلى جانب الباب حين تتلاقيان  
واذا سألك عن شيء فاخفضي الطرف في صمت إن أردت  
واحذري أن يسمع وسوسة حلاك وأنت ترافقيه إلى الداخل وفي يدك السراج  
ولا تتحدثي إليه إن أحسست الحجل  
\* \* \*

أفلم تهجزي عملك ، يا عروس ؟ استمعي فالضيف قد أقبل  
أفلم تشعلي السراج في زريبة البقر ؟  
أفلم تهبي سلال الهدايا التي تقدمها في المساء ؟  
أفلم تضعي شارة الحظ الحمراء عند مفرق شعرك ، وتريني نفسك لما يكون في المساء ؟



أفسمعين ، يا عروس ؟ لقد أقبل الضيف  
فدعي عملك جانباً

— ١١ —

تعالى كما أنتِ ولا تضيعي وقتك في الزينة  
ولا يُعْنِيكِ أن تنثعث عقائص شعرك ، أو أن يكون مفرق شعرك  
مضطرباً . أو أن تتدلى منطقتك

بل تعالى كما أنتِ ولا تضيعي وقتك في الزينة

\* \* \*

تعالى — على العشب — في خطى فساح  
ولا يعْنِيكِ أن تمسحي أصابع قدميك من أثر الندى ، أو أن تتحل جلاجل  
خلا خيلك ، أو أن يفرط عقدك الياقوتي فتتناثر جباته  
بل تعالى — على العشب — في خطى فساح

\* \* \*

أفترين السحب وهي تتعقد في السماء ؟  
وأسراب الكراكي تدفع من شاطئ النهر الأقصى ، والرياح المتناوذة تعبت بالمروج  
والقطعان تطير الى القرية في دعر لتعصم بزرائها  
أفترين السحب وهي تتعقد في السماء ؟

\* \* \*

عنباً تحاولين أن تيري مصباح زينتك ، لأنه يضطرب من أثر الريح ثم يحبو  
من ذا الذي يدري ؟ لعل أهدابك لم تلمس سناج المصباح ، لأن دمع عينيك  
أشد حلوكة من سواد السحابة المنقلة بالمطر

وعنباً تحاولين أن تيري مصباح زينتك لانه يحبو سرباً

\* \* \*

تعالى كما أنتِ ولا تضيعي وقتك في الزينة  
ماذا يضير اذا لم ينعقد اكليل الزهر ، أو لم يشد السوار ؟  
إن السحب تنكاثف في السماء ، والزمان ينطوي  
تعالى كما أنتِ ولا تضيعي وقتك في الزينة



## - ١٢ -

إذا كنت في مشغلة وأردت أن تملأى جرتك ، فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي  
فماؤها يداعب قدميك ويكشف لك عن سره  
إن طلائع الغيث تهادى على الرمال ، والسحب تراكم فوق هامات الشجر  
الزرق كما يتكاتف شعرك فوق حاجيك  
وأنا أستشعر نغم وقع قدميك لأنها تقع في قلبي  
تعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردت أن تملأى جرتك  
\* \* \*

وحين تريد أن تجلسي في فتور ، وتذري جرتك تضرب على سطح الماء ،  
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي

فالمنحدر ترينه الحشائش الخضراء وألوان من الزهور البرية  
ستشع خواطرك من عينيك السوداءين كما يطل طائر من عشه  
وسيسقط نصيفك عند قدميك

فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي حين تريد أن تجلسي في فتور

وإذا شئت أن تنبذى اللهو جانباً لتندفعي بين طيات الماء فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي  
ثم اقدفي بثوبك الأزرق على الشاطئ لتلبسي من زرقاء الماء ثوباً غيره ، يضمك  
ويحول بينك وبين الأعين

فالأمواج ستشرئب لتقبل عنقك وهمس في مسمعك

فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إذا شئت أن تندفعي بين طيات الماء

وإذا جن جنونك فانطلقت تنشدن النهاية ... الموت ... فتعالي ، تعالي  
إلى بحيرتي

ففيها البرد والعمق اللانهائي

وفيها ظلام كأنه النوم العميق

وفي غورها تستوي الظلمات والنور ، والأغاني والسكون

فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردت أن تغتصري في خضم الموت



## — ١٣ —

أنا لا أسألك شيئاً إلا أن تجلسي على حافة الغابة في ظل شجرة  
ما يزال الفتور في عيني الفجر ، وما تنفك قطرات الندى تضطرب في الفضاء  
وما تبرح رائحة الحشائش الندية تنبعث — على وجه الأرض — خلال الضباب الصفيق  
وأنت تجلسين تحت شجرة ( البانيان )<sup>(١)</sup> تحلين بقرتك بيديك الغصتين  
الناعمتين وكأنهما الزبدة  
وأنا واقف في صمت

\* \* \*  
لم أنبس بكلمة ، بل هو الطائر الغريد الذي راح يترنم وهو يتوارى وراء الأيكة  
لقد كانت أزهار شجرة المانجو تتناثر على طريق القرية فيتهافت نحوها  
النحل فرادى

وعلى جانب البركة باب معبد ( سيقا ) مفتوح ، وقد أخذ العابد ينشد أناشيده  
وفي حجر كوعاء تحلين فيه بقرتك  
وأنا واقف في صمت وبين يدي قدحي الفارغ  
\* \* \*

لم أقرب منك  
لقد كانت السماء تهب من غفوتها مع دوي طبل المعبد  
وعبار الطريق تثيره حوافر القطعان السائرة  
والحواري مقبلات من لدن النهر وعلى أردافهن أثر ما لفظته جرارهن المترعة  
وأساورك توسوس ، والزبد يعلو على حافة جرتك  
وأسفر الصبح وأنا لم أقرب منك

## — ١٤ —

عند الأصيل كنت أداف على الطريق الى غير غاية ، والنسيم يبعث بأفنان  
شجرة الخيزران فتحنف خفيفاً خفيفاً  
وظلال المنحدر تمد ذراعها في أثر الضوء الفار

(١) شجرة البانيان . شجرة هندية تشبه شجرة التين وهي من فصيلتها



والطيور تستشعر السأم من أغانيها

وأنا أدلم على الطريق الى غير غاية

\* \* \*

والكوخ الى جانب الغدير تظله دوحة عظيمة

وهناك فتاة في شغل ، وحلاها ترن — في ناحية — في موسيقا عذبة

فوقفت أنا بأزاء هذا الكوخ . . . وقفت ولست أدري لماذا

\* \* \*

الطريق الضيق ينحني يخترق حقول الخردل وغابات المانجو المتكاثفة

وهو يمر بمعبد القرية وبالسوق عند الموردة

فوقفت أنا بأزاء هذا الكوخ . . . وقفت ولست أدري لماذا

\* \* \*

منذ سنوات كانت نسبات مارس تهب هينة ، على حين كانت همسات الربيع

ترفع مكدودة متعبة ، وأزهار المانجو تنساقط فتتعفر في التراب

وأمواج الماء تثب في خفة لتداعب الحجرة الموضوعة عند مآتي الماء

انني أذكر من هذا اليوم انقاس مارس الهادئة . . . اذكرها ولست أدري لماذا

\* \* \*

أخذ الظلام ينشر أستاره والقطعان ترتد الى حظائرها

وراح الضوء ينحسر عن المروج الخاوية ، والفلاحون ينتظرون القارب لدى الشاطئ

غير أنني رجعت وحدي في بطل ومهل ، وأنا لا أدري لماذا

— ١٥ —

إنني أشد كما يشد غزال المسك في ظلال الغابة وقد أسكرته روح المسك

المنبعثة منه

إن هذه هي إحدى ليالي مايو التي تتنفس فيها ربيع الجنوب

لقد ضللت طريقي فما أهتدي ، وأنا أفتش عن أشياء لا أجدها ، وأجد

أشياء لا أفتش عنها

\* \* \*

إن طيف رغبتني ينبعث من قلبي فيضطرب أمامي

هو طيف متألق يخفق أمام ناظري

لقد أجهدت نفسي أن أمسك به في شدة غير أنه أفلت من بين يدي ودفعني

الى المضلة السحيقة



فرحت أفنش عن أشياء لا أجدها ، وأجد أشياء لا أفنش عنها

— ١٦ —

يد في يد ، وعين تحديق في عين . . . هكذا ابتداء تاريخ قلبي  
انه ضوء القمر الالامع في إحدى ليالي مارس . إنها رائحة الحناء تتأرجح فتعطر  
الهواء . إنه ناي الملقى جانباً في غير عناية . ولكن إكليل زهورك لم يتم بعد  
وآصرة الحب التي بينك وبينى بسيطة كالأغنية

\* \* \*

إن قناعك ، في لونه الزعفراني ، يسكر عيني  
وهذا الاكليل الذي تصنعين لي من أزهار الياسمين ينفت في قلبي هزات الشكر  
إنه عبث المنح والمنع ، والظهور والاحتجاب ، فحيناً ابتسامات وحيناً بعض  
الحجل ، وحيناً آخر بعض النزاع العذب

ولكن آصرة الحب التي بينك وبينى بسيطة كالأغنية

\* \* \*

لا غيب وراء الحاضر ، لا جهاد في سبيل المستحيل ، لا أشباح وراء رقى  
السحر ، ولا نجح في غمار الظلمات ، لأن آصرة الهوى التي بينك وبينى بسيطة كالأغنية

\* \* \*

لن نبذ الكلم لنظل في الصمت الأبدي ، ولن نرفع أيدينا الى السماء طالين  
أشياء لا يرقى اليها الأمل

يجب ان نقنع بما نعطي وتأخذ

إننا لم نحطم السرور فنعصر منه خمر الألم

ولكن آصرة الهوى التي بينك وبينى بسيطة كالأغنية

— ١٧ —

إن الطائر الأصفر على فنته يفرّد فيهمز له قلبي طرباً  
إن كليتنا يسكن قرية واحدة ، وهذا هو سرّ بهجتنا معاً  
إن حَمَلِها المدللين يحيطان ليرعيا في ظلال أشجار حديقتي  
وحين يتسللان الى حقلي المنزرع شعيراً ، أحملها بين ذراعي  
إن قريتنا هي خانجنا ونهرنا هو أنجنا

واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو رانجنا

\* \* \*

إن حقلاً واحداً يفصل بيننا



فالنحل التي تتخذ في حديقتنا بيوتاً تلتبس الرحيق من حديقتهم  
وأزهارهم التي تنساقط في النهر يدفعها التيار الى حيث نستحم  
والسلاسل المملّية زهور (الكسم) الخافة ترد من حقولهم الى سوقنا  
إن قريتنا هي خانجانا ونهرنا هو أنجانا  
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو رانجانا

إن الطريق الذي يقود إلى دارها يتأرجح — في أيام الربيع — بعطر أزهار المانجو  
وفي حقولهم ، حين ينضج بذر الكتان فيوشك أن يحصد ، تتفتح أزهار القنب في حقولنا  
والنجوم التي تبسم فوق دارهم رممنا ايضاً بنظراتها المتألقة  
والأمطار التي عملا أحواضهم تنعش عندنا غابات (الكادام)  
إن قريتنا هي خانجانا ونهرنا هو أنجانا  
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو رانجانا

— ١٨ —

كما ينطلق الأختان إلى الغدير ، تبسمان — دائماً — حين تبلغان هذا المكان  
لعلهما تستشفان إنساناً يتواري خلف الأشجار كما انطلقنا الى الغدير  
إن الأختين تهمسان كل في أذن الأخرى ، حين تمران بهذا المكان  
لعلهما كشفنا عن سر ذلك الانسان الذي يتواري خلف الأشجار كما انطلقنا  
إلى الغدير

إن جرّيهما تميلان على حين بقعة — فيتطاير منهما رشاش حين تبلغان هذا المكان  
لعلهما استشعرتا قلباً يدق في عنف ويتواري خلف الأشجار كما انطلقنا الى الغدير  
إن الأختين تتبادلان النظرات ثم تبسمان ، حين تبلغان هذا المكان  
إن خطواتهما الرشيقة تبدو ضاحكة ، على حين تبعث هي الاضطراب في  
خواطر من يتواري خلف الأشجار كما انطلق الأختان الى الغدير

— ١٩ —

أنت تسيرين بازاء النهر وقد حملت جرّتك المترعة  
فلماذا تحديقين في من خلال وصوص نقابك الصفيق



إن شعاع هذه النظرات ينبعث من ضمير الظلماء فيغمري كأنه نسمة رقيقة تهب على الماء المفساب فتزسل فيه هزة اضطراب ، ثم تدفع الى الشاطئ البهيم  
إن شعاع هذه النظرات يدفع الي كأنه طائر الليل الذي يجتاز في سرعة ما بين طرفي الحجرة المظلمة ، فيدخل من نافذة ويخرج من الأخرى ، ثم يتلاشى بين أستار الليل

إنك تخفتين كأنك نجم توارى خلف الليل ، وأنا أسير على الطريق ولكن لماذا تلبثين قليلاً لتحذقي في من خلال وصاوص نقابك ، على حين كنت تسيرين بازاء النهر ، وقد حملت جرثوك المترعة ؟

— ٢٠ —

انه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود  
انطلق اليه — يا صديقي — وقدّمي اليه زهرة من زهرات شعري  
واذا سألك عن التي بشت اليه بهذه الزهرة فلا تسميني له . . . لأنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

\* \* \*

انه يجلس دائماً على الترى في فسيء شجرة  
فابسطي له — يا صديقي — طنفسة من الزهر وأوراق الأشجار  
إن في عينيه حزناً ينسرب الى قلبي  
وهو لا يتحدث عن بعض خواطره . . . غير أنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

— ٢١ —

لماذا آثر هذا الشاب الهائم أن يهفو نحو بابي كلما أسفر الصباح ؟  
في إقبالي وإدباري ، أمر أنا به دائماً ، فيتعلق بصري بسمات وجهه  
فما أدري ألتحدث اليه أم أعيش في صمتي ؟ ولكن لماذا آثر هو أن يهفو نحو بابي ؟  
إن ليالي يوليو التي تتغم فيها السماء تبدو حالكه ، وإن سماء الحريف تراءى زرقاء صافية ، وإن أيام الربيع تزعزعها رياح الجنوب  
وهو في كل آن يرسل نغم أغانيه ندياً  
لقد تحولات عن عملي وفي عيني عبرات . ولكن لماذا آثر هو أن يهفو نحو بابي ؟



## — ٢٢ —

حين مرت هي في خطى سراع ، لمسني ذيل مرطها  
وعلى حين فجأة راحت نسبات الربيع الدافئة تهب من مجاهل قلبي  
وعرتني هزة من أثر العسة اللطيفة ثم تلاشت سريعاً كأنها خفقة ورقة من  
أوراق الزهر عصفت بها الريح ثم هبطت على قلبي كأنها أنه جسمها وهمة قلبها

## — ٢٣ —

لماذا تجلسين هناك تعبين بجلاك في فتور ؟  
إملأي جرّتك . فقد آن لك أن تعودني إلى دارك  
\* \* \*  
لماذا تضطرب يداك في الماء، وأنت — في فتور — ترقين على الطريق قادماً ؟  
املاي جرّتك وتعالني الى الدار  
\* \* \*  
لقد تصرّمت ساعات الصباح ... وثجّ الماء العكر  
ها هي الأمواج تبسم وتهامس في فتور  
\* \* \*  
وهناك ، عند نشز من الأرض ، انعقدت السحب المتناثرة على حافة السماء  
إنها تتريث وتحقق في وجهك ثم تبسم في فتور  
فاملاي جرّتك وتعالني الى الدار

## — ٢٤ —

يا صاحبي ، لا تدفن سرّ قلبك بين ثناياه  
بل اكشف لي عنه ... لي وحدي ... وفي خلوة  
أنت يا من تبسم في لطف ، وتهمس في رقة ... إن قلبي هو الذي يصنع لك  
وليست أذني .

\* \* \*

لقد سبجا الليل ، وهدأت الدار ، وأوکار الطير لفها النوم في طياته  
فحدث إليّ من خلال عبراتك المترققة ، من خلال بسماتك العذبة ، من  
خلال الحجل الحلو والألم الجميل ... تحدث إليّ عن سرّ قلبك



# بَابُ الْإِسْبَاحِ الْعِلْمِيَّةِ

(١) الجمعيات العلمية في انجلترا

لقدرى حافظ طوقان

الباحثون في بحوثهم العلمية ، وذاعت هذه  
الكتابات وانتشرت في مختلف الانحاء ورأى  
فيها المتعلمون تطوراً خطيراً مهد الطريق التي  
يجب على الباحث مراعاتها والسير بموجبها وبذلك  
تلاشت الصعوبات التي كانت تعترض الباحثين  
والمفكرين عند عرض ما يجول بخواطهم  
وأفكارهم . أما ديكارت فقد وضع كتاباً  
دفعته الى الاهتمام بالبحث العلمى وقضت على  
طريقة اعتبار القائل قبل القول فصحة القول  
لا تكون باسنادها الى عالم او الى امام من أئمة  
العلم او الفن بل بمقدار ما ينطوي عليه من حقيقة  
واخلاص للحق

في هذا الجو اتسعت عناية الناس بالعلم  
والأدب والفن وسرت في بعضهم روح البحث  
والدرس فقامت جماعات تعمل على انشاء جمعيات  
غايتها الكشف عن الحقيقة في مختلف الميادين  
ورعاية القائمين والمشتغلين بذلك ، ونمت العلوم  
الرياضية والطبيعية نمواً أدى الى الارتقاء  
العجيب الذي أصاب الاختراع والاكتشاف ،  
وازدهرت علوم الطب والكيمياء وما يتفرع عليها

تمتاز انكلترا بما يسودها من نشاط  
فكري يقوم على أساس من النظام والدقة  
والاقتان . وبفضل هذا النشاط المنظم نمت  
العلوم وازدهرت الفنون ونشأت جمعيات  
وهيئات تعمل على رعاية هذا النمو وتمهد ذلك  
الازدهار ورفع شأن الباحثين وتشجيع الانتاج  
والابتكار ففتحت المدارك وأثمرت المواهب  
وجادت القرائح فاذا نحن أمام رشح عبقریات  
نتج عنه تقدم عجيب في العلوم والفلسفة  
والاختراع والاكتشاف . وكان من آثار  
هذه الجمعيات أن مهدت الى بروز المزايا  
النفسية والعقلية عند كثيرين من الذين كان لهم  
الفضل الكبير في اقامة دعائم الحضارة والعمران  
بدأ اهتمام الناس بالبحوث العلمية في القرن  
السابع عشر للميلاد حين طلع فرنسيس باكون  
F. Bacon وديكارت Descartes ببحوثهما  
وآراهما على الناس

كتب باكون في الأسلوب العلمى وفي ان  
الحقائق العلمية لا تثبت الا بالتجربة والبرهان  
ووضع قواعد اعتبرها اصولاً ليسير عليها

(١) حديث اذيع من محطة الاذاعة الفلسطينية ونشر باذن منها



ازدهاراً نجت عنه تطورات هامة في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والصحية والمادية ، وفوق ذلك فقد نظر الانسان الى بعض اسرار الكون مشرفاً على ما هو أعجب من السحر وأغرب من بنات الخيال

في منتصف القرن السابع عشر للميلاد كان كثيرون من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية والفلسفية يجتمعون للمداولة والدرس وقد أسسوا جمعية غايتها توسيع نطاق البحث العلمي ، والعمل على ترقية العلوم والفنون وفي سنة ١٦٦٠ طلب هؤلاء من الملك شارلس الثاني تثبيت جمعيتهم ومعاضدتها وكان لهم ما ارادوا من تثبيت الجمعية التي عرفت منذ ذلك الحين باسم « الجمعية الملكية »

وسارت الجمعية في طريق التقدم تحيطها رعاية الملك ورجال الحكم فأسدت اجل الخدمات الى البلاد وقامت بنصيب هام في المساهمة في خدمة المدنية

كانت الجمعية توالي اجتماعاتها حيث تلقى المحاضرات وتلى الرسائل العلمية المختلفة وكان من أهم الاعمال التي قامت بها الجمعية في بادىء الأمر قضاؤها على السحر والشعوذة ، فقد نجحت البلاد الانكليزية من بدعة قتل من يهتم بالسحر وبجحت في أمرهم وما يصدر عنهم من آراء وأفكار ، واستطاعت بفضل محاضراتها أن تزعزع عقائد الناس بالسحر والشعوذة ووضعت حداً للخرافات التي كانت شائعة ومنتشرة

وتناوب مسند الرئاسة في هذه الجمعية كثير من فحول العلماء وكبار الفلاسفة وكان لبعضهم الفضل الاكبر في تحقيق بعض غايتها فوجه روبرت بويل ، مثلاً ، جهوده الى رفع مستوى الجمعية وخدمة أغراضها وتمكن من تهية جو علمي ساعد على اظهار المواهب والخصائص التي لم تكن لتظهر لولا الجمعية وذاك الجو الذي هيأه فيها بويل . وبرز نيوتن وغيره من الحكماء وعرض على الجمعية بعض تجاربه وبحوثه فانتخب عضواً تقديراً لنبوغه وآثاره وفي اوائل القرن الثامن عشر للميلاد انتخب رئيساً ، وبقي في الرئاسة اربع وعشرين سنة الى ان وافته المنية . وقد قام خلال هذه المدة بخدمات ثمينة لم تعرف الجمعية علماً غيره أنجز مثلها فكانت رأسه موضع فخر أيدي . وهب نفسه وجهوده للعلم فكشف الجاذبية ونواميسها ووضع أساس التكامل والتفاضل وتقدم بالضوء خطوات واسعة مما جعله من أعظم العلماء العالميين في تاريخ تقدم الفكر والعلم وفي سنة (١٦٧٥) طلبت الجمعية من الملك ان يبني مرصداً للرصد والملاحظة فأجاب طلبها وعهد اليها بالأشراف عليه . ولا يخفى ما أسداه ( ويسديه ) هذا المرصد من الخدمات الجليلة الى علم الفلك وشؤون الملاحة

في ظل هذه الجمعية نشأ علماء كثيرون اشتهروا ببحوثهم وتواجههم في ميادين الطبيعة والرياضة والفلسفة والفلك والطب أمثال رمفرد وهμφري دافى وهرشل وبنج وولتن وفراداي



لما تقدمت العلوم الطبيعية والهندسية والرياضية هذا التقدم الذي نتج عنه تطورات خطيرة في الصناعة والملاحة والتجارة

لقد أسدت الجمعية الرياضية أجل الخدمات إلى الرياضيات فتعهدت المشتغلين فيها وشجعت الابتكار والانتاج فظهر من بين أعضائها من استعمل الرياضيات في العلوم الطبيعية واستغل المعادلات والأرقام للاستفادة عملياً من النواميس والقوانين التي تسيطر على الكون ومحتوياته ، وقد نتج عن هذا الجمع وذلك الاستغلال أروع تقدم أصاب الحضارة الصناعية .

وما يقال عن الجمعية الرياضية يقال عن الجمعيات الأخرى التي انشئت لرعاية العلوم والفنون كالفلك والطب والجغرافيا والكيمياء والجراحة والتاريخ والموسيقى والنحت والفلسفة والاقتصاد

في هذه الجمعيات ترعرع العلم ونما الفن وازدهر . ومن هذه الجمعيات خرجت أكثر المخترعات والمكتشفات التي مكنت الإنسان من السيطرة على بعض عناصر الطبيعة واستغلالها لمنافعه ولما يعود عليه بالتقدم والرفاه

وفي الوسع القول ان للجمعيات العلمية في انكلترا الفضل الأكبر فيما أحرزه الانكليز من شهرة علمية وفيما أسداه علماءهم من خدمات جليلة في ميادين العلوم والفنون وما أحدثه المخترعون والمكتشفون من تغييرات خطيرة في الحضارة الصناعية في هذا العصر

قدري حافظ طوقان

نابلس

وبروستر وغيرهم . وفي سنة ١٨٢٥ أنشأ الملك جورج الرابع وسامين من الذهب للجمعية الملكية لنعم بهما على الجديرين من رجال العلم والفكر . فنهجت أحدهما لدلتن الكيميائي لاستنباطه الرأي الجوهرى المعروف الآن بالعربية باسم المذهب الذري . وفي سنة (١٨٣٩) كتب دارون الشهير رسالة وصف فيها الحوادث البركانية فانتخبته الجمعية عضواً فيها ثم منحه السام الملكى عام ١٨٥٣ على كتابه في جزائر المرجان كما منحه وساماً آخر على كتابه في أصل الأنواع

ومن هنا نتبين فضل الجمعية الكبير في شحذ الهمم وتشجيع الانتاج والاستفعال بالعلوم ، ولا يخفى ان هذا من أهم العوامل التي تقدمت بالعلم والحضارة هذا التقدم الذي نلحقه في مختلف النواحي العمرانية

وهناك جمعيات غير هذه نشأت في انكلترا لرعاية العلم وتشجيع البحث في شتى العلوم — الرياضية والطبيعية والفلكية والطبية والفلسفية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية وغيرها

وينسب إلى هذه الجمعيات العلماء والمثقفون والمتعلمون من الذين يُعْنون بهذه الفروع ويعملون على التوسع فيها واستجلاء الغامض في موضوعاتها وكشف الحقيقة في مختلف بحوثها

وقد أضاف بعض هؤلاء إضافات هامة إلى زاث الإنسانية العاصي كما ساهم غيرهم في خدمة الحضارة

لولا هؤلاء وأمثالهم في الأقطار الأخرى



## عمود منبسط

تقتضي زرع عينه من محجرها أو إتفاق قذ  
رجل في إصطدام فيجوز أخذ عينه على أر  
حدوث الوفاة. إلا أن الأستاذ فيلاتوف تقصى  
ما كتبه كبار الجراحين الذين درسوا العين وعلوا  
عمليات من هذا القبيل وتخطاهم إلى إثبات حقيقة  
جديدة وهي أنه يستطيع أن ينقل قرنية عين ميت  
إلى عين حي ، وليس هذا النقل ضرورياً على  
جناح السرعة كما في حوادث الإصابات الفجائية  
بل استطاع أن يضع نظاماً خاصاً لحفظ القرنية  
بضعة أيام من غير أن تفقد قدرتها على الحياة ثم  
تزرع محل القرنية المؤوفة وهذا على نمط حفظ  
الدم لاستعماله في التصفيق عند الحاجة إليه

في مدينة أودسا الروسية الواقعة على  
سواحل البحر الأسود الشمالية يقيم الأستاذ  
فيلاتوف Filatov الذي يوصف بقدرته  
على إعادة قوة الابصار إلى العميان . وإجراء  
التجارب لإعادة البصر إلى العيون التي أظلم نورها  
ليس بالشئ الجديد . ففي المؤلفات الطبية غير  
حديثة واحدة زعت فيها القرنية من عين سليمة  
وأحلت محل قرنية مؤوفة في عين أخرى  
فعمدت إلى الابصار . ولكن هذه العمليات  
نادرة وعلى جانب عظيم من الصعوبة لأنها تشمل  
نقل قرنية عين حيّة — وهذه لا تتاح إلا  
في أحوال نادرة كأصابة أحدهم إصابة

## الطائرات المنقضة

حينئذ على قذف السفن التجارية تقريباً ويقال أن  
طياراً واحداً تمكن من اغراق ثلاث سفن  
تجارية كبيرة . ثم جربت في الحملة الألمانية  
على بولونيا ضد الدبابات وفي تأييد فرق المشاة  
بتفريق شمل المدافعين

ويجب أن تكون الطائرة متينة البناء لكي  
لا تتفرق أجزاؤها وهي منقضة في الفضاء  
انقضاضاً تجعل مقاومة الهواء لها مقاومة عظيمة.  
ويفضل أن تكون ذات محركين حتى يكون مجال  
النظر أمام الطيار خالياً مما يحجب عنه الأهداف  
التي يتوخاها . وتوضع القنابل تحت جسم  
الطائرة وتلقى القاء بشد ذراع أو محرك  
جهاز خاص

اشتهرت الطائرات الألمانية المنقضة في  
معركة فرنسا بما كان لها من تأثير مبلبل في صفوف  
الحيوش المدافعة . وطريقتها أن تنقض الطائرة  
من الجو بسرعة عظيمة انقضاضاً يكاد يكون  
عمودياً ثم تلقي قبيلتها على الهدف من ارتفاع  
يسير فتكسب القنبلة المقذوفة زخم الطائرة المنقضة  
بسرعة فكان القنبلة قذفت من ارتفاع عظيم  
وكسبت بسقوطها زخم السقوط . ولكن قنابل  
الطائرات المنقضة تمتاز على القنابل المقذوفة من  
ارتفاع عظيم بأن القاءها من ارتفاع يسير يمكن الطيار  
من تسديدها تسديداً محكماً إلى الهدف المقصود  
استعمل هذا النوع من قذف القنابل في  
الحرب الأهلية الأسبانية ولكن قصر استعماله



## فائذة تآلى أكسيدر الكربون

في الحرب

الضغط عنه . وكذلك يعبأ سائلاً في الاسطوانات الخاصة به فاذا رفع الضغط عنه تحول غازاً . وأما الثانية فترتد الى ان وجوده يمنع عن نار مشبوبة ما يلزم لها من اكسجين للاحتراق . وبغير وجود الاكسجين لا تشب نار ما

ومن أغرب وجوه استعماله ان مهندسي الطيران البحري الاميركي اخترعوا طريقة آلية لوقاية الطائرات من الغرق . ذلك ان الطائرات التي تحلق من سطح سفينة حاملة للطائرات قد يتعذر عليها لسبب من الأسباب ان تنزل على سطح الحاملة عند عودتها اليها فتنزل على سطح البحر . ولا تكاد تلمس سطح البحر حتى يتدلى من جسم الطائرة كيسان كبيران من المطاط ملوؤهما تآلى اكسيد الكربون فتطفو بهما الطائرة على الماء الى ان ترفع

ومن هذا القبيل أحزمة للنجاة صنعت للطيارين من المطاط يملأ الحزام منها بتآلى اكسيد الكربون في ثلاث ثوان فيساعد الطيار الساقط في البحر على العوم الى ان تأتية النجدة

بينما الناس في كثير من المدن الأوربية يسرون حاملين أقنعتهم الواقية من الغازات الحربية ، هناك غاز غير سام اذا لم يكن مركزاً في جو غرفة مقفلة ، يحجب منه فوائد متعددة في الأعمال الحربية . وهذا الغاز هو تآلى أكسيد الكربون الذي يدخل في صنع ماء الصودا فالزوارق المصنوعة من المطاط التي اعتمد عليها الألمان في اجتياز منطقة الدفاع المائية في هولندا كانت تنفخ بتفريغ هذا الغاز فيها من زجاجة حصر فيها تحت ضغط كبير . والنار التي تشب في محرك طائرة تطفأ باطلاق هذا الغاز عليها . وكذلك النيران التي تشب على الأرض بفعل القنابل المنفجرة أو القنابل المحرقة تطفأ به . وقد أعدت سيارات نقل كبيرة تحمل اسطوانات عبئت بهذا الغاز لاستعماله حيث تشب الحرائق

هذا الغاز يتصف بخاصتين تجعلان الاستغناء عنه متعذراً في مثل هذه الاعمال . أما الأولى فقابليته للتحول الى سائل بفعل الضغط ثم ندمه وتحوله غازاً تحولاً سريعاً متى رفع

## أطول العرييات عمراً

سنة ( ٤١ ١/٢ )

الفيل : ثمان وأربعون سنة ( ٤٨ )

السلحفاة : مائة واثنان وخمسون سنة ( ١٥٢ )

الهر الأليف : عشرون سنة ( ٢٠ )

الأسد : خمس وعشرون سنة ( ٢٥ )

فرس النهر : احدى وأربعون سنة ونصف



## الزهب المخزون في اميركا

١٩٣٧ — اثنا عشر الفاً و سبع مائة وستون مليون ريال ( ١٢٧٦٠ مليون )  
 ١٩٣٨ — اربعة عشر الفاً وخمس مائة و اثنا عشر مليون ريال ( ١٤٥١٢ مليون )  
 ١٩٣٩ — سبعة عشر الفاً وست مائة وعشرون مليون ريال ( ١٧٦٢٠ مليون )

زاد الذهب المخزون في الولايات المتحدة الاميركية زيادة مطردة من سنة ١٩٣٥ الى الآن وإلى القارىء الأرقام الدقيقة  
 ١٩٣٥ — عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون مليون ريال ( ١٠١٢٥ مليون )  
 ١٩٣٦ — احدى عشر الفاً ومائتان وثمانية وخمسون مليون ريال ( ١١٢٥٨ مليون )

## الوقاية من الكزاز

جراحى الأسطول الأمريكى كشف مادة (toxoid) تصلح للتلقيح فتقى من يلقح بها من الاصابة بالكزاز. والحقنة تعطى مرتين بينهما فترة اسبوعين فيصبح جسم المحقون قادراً على توليد الأجسام المضادة لجراثيم الكزاز وقد لقيح بها جميع طلبة الأكاديمية البحرية الأمريكية وأساتذتها وسائر رجالها

الكزاز (التانوس) من أعقد المشكلات الصحية التي يواجهها الطب في أثناء الحروب اذ يكفي ان يقع جندي جرح في قدمه أو يده أو أي عضو من أعضائه جرحاً مكشوفاً لينتقط الجريح جرثومة الكزاز من التراب أو السباد أو حتى غبار الطرق وقد أعلن الكومندور هول Hall كبير

## العلماء في خدمة الحكومة الاميركية

طبيب بيطري . و ٣٢٠٠ عالم نباتي وزراعي و ١٢٣٠ عالماً طبيعياً وجولوجياً و ١٣٣٥ كيميائياً ومعدنياً و ٧٨٠ احصائياً و ٦٤٠ عالماً بالحيوان و ١٠١٥ بالحشرات . ويضاف اليهم ٤٤٥ كاتباً علمياً  
 ويلاحظ ان لفظ « عالم » استعملت هنا بأوسع معانيها

تدل الاحصاءات في الولايات المتحدة الاميركية على أن العلماء الذين كانوا في خدمة الحكومة في أول نوفمبر سنة ١٩٣٩ بلغ عددهم ٤١٩١٢ عالماً من المدنيين منهم ٤٠٢٠٠ من الذكور و ١٧١٢ من الإناث . من هؤلاء ١٧٧٠٢ من المهندسين و ٦٦٠٠ من علماء الاقتصاد و ٢٦٥٠ طبيباً وطبيب أسنان و ٢٠٠٠



## الغذاء والحياة

تابع المنشور على الصفحة ٢٨٧

وقد اشتهر مرض البلاجرا من عهد بعيد ، وهو مرض شديد الانتشار ، بين الفقراء ولا سيما في مصر حيث يصاب به ثلاثون في المائة من اهلها . اما في بلدان الولايات المتحدة الاميركية فيبلغ المصابون به سنوياً ٤٠٠.٠٠٠ نفس . ويقال إن عشرة في المائة من المجانين في ملاحيء الولايات الجنوبية من هاتيك البلاد يشكون ذلك الداء . وفي سنة ١٩١٢ رأى فنك Funk أن البلاجرا ناشئة من النقص الذي يحدث في غذاء الانسان المؤلف من احدى المواد التي سماها فيتامينات vitamins وبعد ذلك بسنتين بدأت المباحث العلمية التي قام بها جولدبرجر Goldberger وزملاؤه في مصلحة الصحة العمومية لحكومة الولايات المتحدة الاميركية فأبدت إمكان علاج البلاجرا علاجاً ناجحاً والوقاية منها ايضاً وذلك بتغيير الغذاء الذي ألفه المصاب والبلاجرا من الأمراض التي تقتضي زمناً طويلاً حتى تظهر . ولهذا السبب يمكن أن تتضاعف من عجز الغذاء وهذا الى عجز العامل المانع للبلاجرا ولا سيما فيتامين (ب B) رقم (أ) والريوفلافين . وقد تصعب البلاجرا مرضي الحصبة وحمى التيفويد أو غيرها من الأمراض المعدية ، ولكنها تعزى أصلاً الى خلل الغذاء من عامل خاص من العوامل الغذائية وتؤثر أعراضها تأثيراً شديداً في ثلاثة من أجهزة الجسم وهي الجلد والجهازان الهضمي والعصبي . وقد تعود أعراضها فتظهر في ميعادها الأول بمثابة نكسة . وتصيب البلاجرا العليل رويداً رويداً فلا يشعر بأعراضها الابتدائية وحينئذ تضعف ساقه وتتغير شهوته للطعام وينقص وزن جسمه وتسوء أخلاقه . وهذه أشد الأعراض الأولى المعتادة للظهور : أما التغيرات التي نظراً على بشرة المصاب فتتخذ شكل جروح متناقصة بعضها مع بعض في أي جزء من أجزاء الجسم . وتكتنف تلك الجروح عادة الايدي والمعاصم والمرفاق والركب والاقدام . أما الاعراض التي تشمل الجهاز العصبي فهي عادة التهييج العصبي والدوار والصرع والحدرد الموضعي « التنميل » أو شلل الاطراف . أما في الحالات الشديدة للعرض فقد يحدث انحطاط في الجبل الشوكي يفضي الى حركات تشنجية فيصاب المريض بفترات من الهبوط العقلي والذعر والهتر « الهلوسة » والاضطراب الذهني والهلذان وفقدان إدراك الوجهة التي يمشيها في سيره فقداناً تاماً . فاذا لم يسعف بالعلاج يحتمل أن يمجن . ومن الأدوية الناجعة لذلك الداء حامض النيكوتينيك nicotinic acid اذ أنه يشفي العليل في أيام معدودة فيزول الورم والمرض الجلدي والانحطاط العقلي واضطراب الهضم . وأصلح الأغذية لعلاج المصاب بالبلاجرا ، الخميرة واللبن الحليب وجنين الحنطة والهبر<sup>(١)</sup> والخضراوات والبقول . أما الاصابات المعتدلة من البلاجرا فتعالج بغذاء يشمل يومياً من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ وحدة حرارية مؤلفة من الهبر والكبد وأمثالها من الأغذية التي يتوافر فيها الفيتامين الواقي من البلاجرا ، مضافة الى اللبن الحليب

(١) الهبر — الشرق — اللحم الاحمر الذي لا دسم له Lean meat





# مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضَفِ

مسند يعقوب بن شيبه في الحديث النبوي

نشر الدكتور سامي حداد : بيروت

معيد الناشر

في أثناء تحرياتي المخطوطات الطيبة العربية ونوادرها وقعت لي قطعة نفيسة من مسند يعقوب بن شيبه في الحديث النبوي الشريف ، وهي من أقدم المخطوطات العربية المعروفة ، ولعلها أقدم نسخة من نوعها في العالم . فاشتريتها وحفظتها حرصاً عليها من الضياع . وحملتها مرة الى مصر واطلعت عليها بعضاً من علماءها ، منهم حضرة مدير دار الكتب المصرية العامرة الذي رغب اليّ في أخذ صورة فوتوستاتية عنها ، فأخذت وحفظت في الدار . وكنت أرى في كل من اطلع عليها رغبة شديدة في الحصول على نسخة مطبوعة منها للاطلاع عليها ودرسها لما لها من المنزلة العالية في دراسة الحديث . فدفعني ذلك الى نشرها تعميماً للفائدة المتوخاة منها وخدمة لعلماء الحديث الشريف

وحيث اني لم اكن يوماً من طلاب هذا العلم ولا ممن يجمع كتبه ومسانده مضيت قبل الاقدام على هذا العمل الخطير في درس هذه النسخة الأثرية درساً دقيقاً . ثم عرضتها على نخبة من علماء المغرب ومصر والشام ، أخص بالذكر منهم حضرة العالم العلامة والمحدث الكبير الشيخ محمد العربي بن محمد المهدي العزوزي المغربي نزيل بيروت اليوم ، وحضرة الشيخ الكبير والعالم النحرير محمد عبد الرسول ابراهيم مدير قسم الفهارس العربية بدار الكتب المصرية ، وحضرة العالم الفاضل الشيخ عبد الله العلايلي . وقرأتها عليهم لتحري نصها والحجيء بلفظها . فان يكن من فضل فهو لهم وان يكن من خطأ فهو مني

هذه تحفة أثرية في الحديث النبوي الشريف يرجع عهدها الى القرن الرابع الهجري وهي تقع في اربع وعشرين ورقة من النوع الأسمر القديم مكتوبة بحبر اسود مائل الى الصفرة . ويبلغ طول الورقة الواحدة منها ١٧ر٣ سنتيمتراً بعرض ١١ر٢ وطول ما رسم منها



١٥٥ مرض ٩ ستمترات ، ويتفاوت عدد سطور الصفحة الواحدة بين ١٧ و ٢٠ سطراً . وهي بحالة جيدة من الحفظ ما خلا الورقة الأولى التي بليت حاشيتها الداخلية وزواياها الأربع اما خطها فبسيط عادي يكثر فيه اللبس والغموض ويرجع ذلك الى عدة اسباب أهمها : —

١ — كثرة الأغلاط الاملائية والنحوية

٢ — وصل الحروف المنفصلة في كلمة واحدة ووصل عدة كلمات متوالية

٣ — عدم الاعجام في كثير من حروفها

٤ — وضع علامة الاهمال فوق بعض الحروف غير المعجمة للفرقة بينها وبين الحروف المعجمة كما ورد ذلك فوق حرف السين والراء والحاء والعين في الكلمات الآتية : — « الرسول » ، « المسدد » ، « روي » ، « عمر » ، « حتى » ، « فباعوها » . فكثيراً ما تلبس هذه العلامة بالحركات

٥ — عدم كتابة الهمزة فيها الا في كلمتين فقط

٦ — عدم ورود علامة للتنوين الا في كلمة واحدة

٧ — عدم ورود علامة المد الا مرة واحدة ونظن انها اضيفت في عهد متأخر بدليل لون الحبر المكتوبة به

٨ — كثرة استعمال علامتين للوقف . واحدة للاستطراد وأخرى للانتهاء . وهاتان العلامتان كثيراً ما تفضيان الى الالتباس بحيث يظنهما القارئ حروفاً من أصل متن الكتاب وقد اعتنى الحفاظ الذين وقمت اليهم هذه النسخة بتصحيحها ومقابلتها بغيرها ، بدليل تكرار الملاحظات المختلفة الأشكال بهوامش اكثر صفحاتها . واليك نموذج بعض هذه الملاحظات :

« نقل » « سمع » « نقل » « سمع »  
سمع نقل

ومما يزيد في قيمة هذه المخطوطة تعدد الساعات الموجودة على الصفحتين الأولى والأخيرة منها وعلى هوامش كثير من صفحاتها الأخرى . وهي تبلغ نحواً من ثلاثين ساعة . وكلها تثبت لانها بقيت معنيهاً بها مرغوباً في سماعها الى اواخر القرن الخامس . ومن بعضها يمكن الاستدلال على معرفة كاتبها ومالكها الأول والزمن الذي كتبت فيه . فالسماع الاول الذي لمحمد بن أحمد الاشباني الدقاق مثبت في آخر ديباجة وفي المخطوطة وهو بدون تاريخ . ويتضح للعتأمل في هذا السماع وفي الديباجة وفي المخطوطة أنها كلها بخط واحد وحبر واحد . ومن نص السماع يظهر ان كاتبه هو الاشباني بعينه وبالتالي كاتب المخطوطة كلها . وللأشباني هذا سماع ثان يعود تاريخه الى السنة الثالثة بعد الأربعمئة وهو أقدم تاريخ مثبت في المخطوطة . فجلي اذاً ان كاتبها



الاشباني هو مالكها الأول وقد كتبها قبل سنة ثلاث وأربعمئة . ثم انتقلت من يد الاشباني الى يد أبي محمد الحسن بن عبد الملك بن محمد بن يوسف أحد من سماع النسخة عن الشيخ أبي سعد المظفر ابن الحسن بن المظفر السبط الهمداني ، ودليلنا على ذلك السماع الخامس . ثم انتقلت الى يد احمد ابن أبي بكر الطريقي كما يظهر من سائر السماع

ويغلب على الظن ان المخطوطة كتبت في العراق ، ثم انتقلت الى الحجاز بدليل السماع الرابع عشر وهو لامام محدثي القرن الخامس أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي الأندلسي صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين ، والمتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، عن أبي الفناشم . وتاريخ هذا السماع سنة تسع وستين وأربعمئة بجامع المدينة -

إذاً فقد انتقلت هذه النسخة من العراق الى الحجاز ومنها الى الشام ومرت على ايدي كبار الرواة والحفاظ في كل من هذه الأقطار . وربما كانت هي النسخة الوحيدة من مسند ابن شيبه الباقية والمعروفة اليوم في الشرق ، بل ربما كانت معدومة النظير في كل خزان المخطوطات الشرقية فحري بنا إذاً أن نعيدها من الاهتمام ما تستحقه ، ومن الدرس والتحري أدقه ، وان نحض طلاب الحديث وعلماءه على اقتنائها وحفظها ، لما فيها من الأثر الطيب والذكر الحسن ، والله الموفق

### على هامش التاريخ المصري القديم

تأليف عبد القادر حمزة باشا — المجلد الاول صفحاته ٢٤٠ قطع المقتطف  
مطبعة دار الكتب، الثمن ٣٠ قرشاً

هذه الفصول النفيسة ناحية كريمة من شخصية صحفي سياسي كبير وهي جديرة بكل احترام وعناية من رجال الحكم والفكر في مصر والشرق العربي . فبعد القادر باشا لم يسمح لمشغل الصحافة والسياسة الكثيرة المعقدة المرهقة عن تتبع موضوع شغف به بعد زيارة قصيرة الى الآثار المصرية في الاقصر . فوالى البحث والمطالعة وزيارة الآثار في مواقعها وفي دار الآثار المصرية بالقاهرة لانه احسن بعد قراءته الاولى العابرة لكتاب كبار — « طيبة » — وزيارته الآثار زيارة متفرج « ان الحياة اخذت تدب فيها ( اي الآثار ) فتحدثني عن مجد عجبت من انني لم اجد في مدارس الحكومة التي تلقيت فيها تعليمي في جميع درجاته ما يرشد أو يبعث في الذهن فكرة عنه »

وسارع عبد القادر باشا بعد هذه العبارة الى القول « وانا اعرف ان علم الآثار صار يدرس في جامعة نواد الاول منذ بضع سنين وان وزارة المعارف بعثت وقتاً ما بعثة الى ألمانيا تخصص افرادها فيه ، ولكن ابن هذا من العناية الواجبة بالتوسع في تدريس التاريخ المصري في المدارس



الابتدائية والثانوية ، وإن هذا من مئات المؤلفات التي يجب أن توجد في هذا التاريخ باللغة العربية .  
معظم هذه الفصول في موضوعات تتناول نواحي من ثقافة مصر القديمة كبحث التقويم  
المصري وعقيدة الحساب بعد الموت وتأثير المدنية المصرية في المدنية اليونانية واقتباسات  
هوميروس من الأساطير والآداب المصرية

وقد خصص المؤلف فصله الأول بعد المقدمة لناحية من التاريخ المصري القديم قلما  
عني بها المؤرخون المصريون عناية وافية قبل العهد الأخير ونعني حقبة ما قبل التاريخ  
ولا سيما العصر الحجري . وهذا البحث يشمل أصول نشأة المدنية المصرية مثل استخلاص  
نباتات الشعير والذرة والقمح من النباتات الوحشية واختراع الكتابة المصرية وما بين المدينتين  
الكلدانية والمصرية من وجوه شبه تدل على الاتصال لا على الغزو وختم البحث بأن المدنية  
المصرية بنت مصر لا بنت بلد آخر

فالكتاب على ما ترى ليس تاريخاً مدرسياً منتظماً لمصر القديمة ، يورد لك تاريخ الأسر الحاكمة  
أسرة أسرة ، ومؤلفه الفاضل لا يقول إنه وضعه ليكون كتاباً من هذا الطراز ، وإنما هو  
بشمل نواحي من تاريخ مصر القديمة جذيرة بالعناية لأنها تستوقف ذهن المثقف وستليها  
فصول أخرى من قلمه وعلى نطمه أن شاء الله

وقد أسدى عبد القادر باشا خدمة كبيرة الى القراء بنقله طائفة من رسائل سياسية وغير  
سياسية كتبت في عهد الاسرة الثامنة عشرة وتبادلها ملوك مصر والملوك المجاورون لهم وكذلك  
ملوك مصر وحكام فلسطين وسوريا . وهذه الرسائل من اصول التاريخ الاصيل علاوة على  
ما فيها من متعة ذهنية لأنها تصور الحياة الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر تصويراً دقيقاً .  
ومن عناصرها « الحماية المستترة » « إستار المخالفة » و « مصاهرات ملوك مصر للملوك المجاورين »  
و « الصلات بين الفراعنة وحكام سوريا » الخ . واصل هذه الرسائل منقوش على الواح تل  
العمارنة المشهورة التي كشفت في سنة ١٨٧٧

أسلوب الكتابة في هذه الفصول كأسلوب مؤلفها في مقالاته السياسية دقيق رصين متأن  
وهوامش الصفحات حافلة بما يوضح المتن أو يؤيده وهي زبدة ما خرج به المؤلف من  
مطالعته الواسعة

أما طبع الكتاب وورقه في هذا العهد الذي غلائن الورق فيه غلاء فاحشاً فمما يشرح الصدر .  
ولا غرو فطبعة دار الكتب المصرية مشهورة باجادة الطبع . والصور كثيرة في الكتاب  
وجميعها متقنة الاخراج سواء في ذلك ما طبع منها على ورق الكتاب او على ورق صقيل خاص  
وما طبع بالحبر الأسود او بالألوان



ففىء عبد القادر باشا بهذا العمل الثقافى الموفق وزرجو ان يكون مثلاً ينسج اقطابنا من المشتغلين بالسياسة والادارة على منواله . فىى تاريخ مصر العريق وحياتها الاجتماعية والاقتصادية نواح شتى جدرة بالدراسة . وقد شق حافط عفيفى باشا وعبد القادر باشا الطريق فليسلكه السالكون

### تراجم أعيان القرن الثالث عشر

وأوائل الرابع عشر تأليف المرحوم أحمد تيمور باشا

مؤلف هذا الكتاب غنى عن التعريف . فقد كان — رحمه الله — من أفاضل العلماء الذين جمعوا الى سعة العلم حسن البيان وكرم الأخلاق وقد أحسن ورثة المؤلف — وقد نشأوا على غرار والدهم ، ونبتوا فى أكرم مفارسهم — فى طبع هذا الكتاب الذى جمع ترجمة لأربعة وعشرين عيناً من أعيان القرن الهجرى الماضى وأوائل القرن الحاضر

والكتاب على صغر حجمه ، وقصر بعض التراجم فيه عظيم الفائدة لأنه كشف عن نواح غامضة من رجال لم يعرف الحيل الحديث شيئاً عن آثارهم ، بل حتى عن اسمائهم . فالشيخ زين المرففى والشيخ أحمد أبوالفرج الدهمورى الشاعر ومحمد افندي أكمل والشيخ أحمد وهبى الشاعر وحسن افندي عبد الباسط الحوى هى أمثلة لأسماء خلدها المرحوم تيمور باشا فى كتابه النفيس ولو بورك فى عمر الفقيد لخرج كتابه أوفى موضوعاً وأكثر اتساعاً مما هو عليه اليوم . وقد بين طابعو الكتاب ذلك فى بيانهم فى آخر الكتاب . إلا أنه على الرغم من الأيجاز فى بعض المواضع سيظل مرجعاً لمؤرخ الأدب فى العصر الحديث

والمؤلف رحمه الله عفى القلم ، زبه الغرض فى الترجمة . فلا يتعامل ولا يجنح الى الهوى فى فى الحكم . وله مع بعض المترجم لهم صلات شخصية إلا أنها لم تمنعه من صدق الأحكام أما عبارة المؤلف فى الترجمة فهى على نسق عال من البلاغة التى عرف بها ولم يمل فيها الى سجع ولم يعد الى مبالغة . مع بيان يتسلسل كلاماً ، ويرق كالنسيم

وحسن من ناشري الكتاب أن يخرجوه كما وضعه صاحبه ، وأن يتابعوا ما كتب حرفاً بحرف ليخرج الكتاب مرآة لمخطوطته . إلا أنه كان الأولى بهم أن يضيفوا اليه ذيلاً لتحقيق ما فات تحقيقه من تعيين سنة أو تدوين تاريخ أو تحقيق موقع بلدة وبذلك كانوا يحفظون على أصل المخطوطة مع تحقيق الفائدة بأضافتها فى ذيل الكتاب

ولقد وقعت فى الكتاب أخطاء قليلة من المطبعة تعد على اصابع اليد (كالمغنيين ص ١١٤) . ومُسنية الفرقى صفحة ١٩ وصوابها منية الفرقى بالعين لا بالفاء . ( وفى هامش صفحة ١٤٤



ذكر ص ٣٣٠ من ديوان الشيخ شهاب وصوابها صفحة ٣٣٧ كما تحققت ذلك من رجوعي الى الديوان نفسه)

وقد ختمت هذه التراجم بترجمة للعرجوم احمد تيمور باشا مؤلف الكتاب . كتبها الاستاذ حسن عبد الوهاب وهي على ايجازها وتحري القصد والصدق فيها تصور جانباً من حياة الفقيه العلمية وخزانة كتبه وآثاره في التأليف والمكتابة

وانا لآرجو أن يوفق الله أبناء الفقيه — وهم من صدور الرجال في الأدب والفضل وبر الأبناء بالآباء — الى اخراج ما لم ينشر من مؤلفات الفقيه وهي (١) التصوير عند العرب (٢) معجم اللغة العامية (٣) الأمثال العامية (٤) معجم الفوائد . فانهم بذلك يحسنون الى ذكرى والدعم ويحسنون الى العلم الذي كمل الله به أباهم ، فكان زين العلماء وامام الأدباء

محمد عبد الغني حسن

### أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف المقرئ — مؤلف نفح الطيب طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — صفحاته ٣٧١  
هذا كتاب ألفه شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ صاحب كتاب «نفح الطيب» ومن علماء القرن الحادي عشر الهجري . وهو ترجمة فسيحة للنواحي لقاضي المغرب الامام عياض بن موسى صاحب كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» المشهور ، وغيره من الكتب النافعة ، ومن أعلام القرن السادس الهجري

والفضل في اخراج هذا الكتاب للمعهد الخليفي للابحاث المغربية الذي أسسه وظهره سمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي العلوي خليفة عظمة سلطان المغرب الأقصى عهد بتحقيق الكتاب والقيام على طبعه الى ثلاثة من خيار الاساتذة : مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي . وقد عالجوا قبل هذا الكتاب غيره فأحسنوا الاحسان كله وأسدوا الى الأدب العربي أيادي كثيرة . وسدوا نقصاً كبيراً في نواح كثيرة من المكتبة العربية ولا شك أن المجهود الذي بذله المؤلفون الأجلاء لا يعرفه إلا من عانى بتحقيق كتاب مخطوط ورجع في التحقيق الى أكثر من نسخة خطية ، وقابل بينها جميعاً وعارض . وأدرك النقص في موضع والزيادة في آخر . ولعام بينها جميعاً حتى يخرج الكتاب قريباً الى الأصل الذي وضعه صاحبه والحق أن المؤلفين لم يقصروا في ذلك . تشهد بذلك الهوامش التي لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة . وتشهد بذلك التعليقات والشروح والتفسير اللغوي لكثير من الألفاظ الواردة في الكتاب ويشهد بذلك بحشمهم واستقراؤهم لما ورد في الكتاب من شعرا ورواية . فلم يجدوا هذا البيت ربما ضرع عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا



في نسخ ديوان المتنبي . وهم بشيرون الى ما خفي من اشارات وردت في خلال الكتاب كالإشارة في صفحة ٩٨ الى قول النابغة

وقلت يا قوم أن الليث منقبض على برائته للوثبة الضاري

. وهم يحلون القارىء على كتب كثيرة للتحقيق . وفي حالة لها دلالتها على امتداد ما اطلعوا وسعة ما قرءوا

والحق أنني قضيت غير قليل أقرأ في هذا الكتاب وحاولت — غير سيء النية — أن أجد زبهاً في التحقيق أو تقصيراً في البحث فما زادتني القراءة إلا إعجاباً بمجهود الاساتذة المحققين وثناء عليهم

والحق ايضاً أنهم أضافوا الى مادة الكتاب الأصلي — وهي غزيرة — مادة أخرى من التحقيق العلمي الواسع الدال على الأمان في الصبر لاجراج الكتاب في حلة ترضي العلماء والباحثين ولقد مررت علي في صفحة ٢٠٦ خطأ في بيت شعر لم تصحح في جدول الخطأ والصواب . فقد كتب الليث الآتي هكذا :

ودافمت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر

والصواب يستطيع بحذف التاء من يستطيع ليستقيم الوزن كما لا يخفى على حضراتهم فلهم بالعروض دراية وبصر . وحذف التاء من الفعل استطاع جاء للتخفيف كما جاء في القرآن وفق الله ضابطي هذا الكتاب النفيس الى اكماله بفضل معاونته «مكتب التبادل الثقافي» التابع للمعهد الخليفي بتطوان

عبد الغني

## الكيمياء ومسائل الحياة اليومية

تأليف حسن عبد السلام — مفتش الكيمياء بوزارة المعارف — مطبعة التأليف والترجمة والنشر صفحاته ٢٧٣ قطع المقتطف — حقوق الطبع لوزارة المعارف — ولم يعين للكتاب ثمن هذا كتاب نفيس في الكيمياء على نمط طريف . فهم مؤلفه ليس منصرفاً الى تأليف مدرسي توصف فيه الظواهر الكيميائية والمركبات ومحضيرها والعناصر وتبويبها وخواصها لأن الكتب المتداولة من هذا النوع كثيرة . وإنما أراد كتاباً يجمع بين الفائدة العملية وصفة الاغراء بالمطالعة بعد الخروج من المدرسة . أي ان يكون على قوله «حلقة الاتصال بين المدرسة والحياة» أكثر ما يحيط بنا من الأشياء والظواهر مما نعجز عن فهمه ، وسره في كثير من الأحيان يلتمس عنه الكيميائي : الأدهان والأصباغ ، والزجاج والفخار ، والخيالات والمطريات ، والعقاقير والعطور ، والأغذية والسموم ، والمفرقات الحرارية والأسمدة الكيميائية . جميع هذه الموضوعات تطالعنا كل يوم من نواحي حياتنا العملية ، فإذا استرعت مسائلها انتباهنا ، فالتناجد في هذا



الكتاب أجوبة شافية عن كثير مما يحيرنا فيها. فاذا أضفت الى ذلك عجائب المعمل الكيميائي الأعظم — وهو الجسم البشري — وما يتصل به من بحث الاحتراق والتنفس، والطعام وهضمه وتمثيله، والفيتامينات وأرهارها، ومفرزات الغدد الصم وفعلها في الصحة والعقل والخلق فقد جمعت الموضوعات الخطيرة التي يشتمل عليها هذا الكتاب في بضعة أسطر

نشرب القهوة او الشاي وندخن التبغ « لأنها أصبحت من لوازم الحضارة الراهنة » ولكن قلنا تفكر في فعلها الكيميائي والفسيولوجي. فاذا فتحنا هذا الكتاب عند الصفحة ١٢٦ وما يليها طالعنا في أسلوب علمي قريب الناول اهم الحقائق العلمية التي وراء هذه الاعمال اليومية المألوفة ونستهلك في مصر الوف الاطنان من الاسمدة على انواعها، ونقرأ عن مشروع كبير لنحويل قامة المدن الى اسمدة، فاذا التمسنا حقائق هذين الموضوعين وجدناها في ما بين الصفحة ١٦٠ والصفحة ١٧٨ من هذا الكتاب

وصناعة الفخار لها تاريخ قديم وتاريخ حديث في مصر وبين التاريخين نتاج البحث العلمي في المواد التي تدخل في الطوب والقرميد وانايب المجاري واواني الفخار والخزف والقاشاني وصقلها وما الى ذلك. وهذا موضوع تجده مبسوطاً بين الصفحة ١٨٣ والصفحة ١٩١ والاستاذ حسن عبد السلام مؤلف الكتاب اهل للتأليف في موضوع توفّر عليه في معاهد انكلترا وأحرز فيه درجة الشرف من الطبقة الاولى ثم درّسه وأشرف على تدريسه في المدارس المصرية. فكتابه اضافة جديرة بالتهنئة والثناء الى سلسلة الكتب التي توفّر بالعربية الآن لتبسيط العلوم ونشرها

### تصحيح خطأ

في عبارة أوردت على لسان الامير مصطفى الشهابي

نهنا أحد الافاضل من القراء الى خطأ وقع في نقل عبارة للامير مصطفى الشهابي ثم الاستشهاد بها خاطئة. ففي الصفحة ٢٠٩ من عدد يوليو سنة ١٩٤٠ أورد الاستاذ محمود مصطفى الديماطي القول التالي: — على أنه ليس من الادراك المألوف أن يقول قائل ( يجب عدم محاربة العامة في الألفاظ التي تطلقها على النباتات الخ ) . . . وصاحب هذا القول هو الامير مصطفى الشهابي في مقال له نشر في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٠ ونص عبارته الكاملة كما يلي ( ويجب عدم محاربة العامة في الألفاظ المغلوطة التي تطلقها على النباتات . . . ) فسقوط كلمة « المغلوطة » من عبارة الامير مصطفى كما أوردتها الاستاذ الديماطي بغير معناها من أصله. وقد نشرت كلمة الاستاذ الديماطي بغير أن نتاح لنا أو له مراجعة هذا الاقتباس من الامير مصطفى ومقابلته بالعبارة الأصلية. فلزم التنويه بذلك بعد ما نهنا أحد الافاضل إليه



## فهرس الجزء الثالث

من المجلد السابع والتسعين

علم الطبيعة الجديد ووحدة المادة	٢٢٩
الأفكار سر الحضارة والقتال لا تدمرها	٢٣٦
من أنت ؟ : لشارل مالك	٢٤٠
عيوب المعاجم العربية وحاجتنا الى معجمين : للامير مصطفى الشهابي	٢٥٢
اوليفر لدج — سيرته وأعماله على ذكر وفاته	٢٥٨
تاريخ التقويم المصري : لكامل صالح نخلة	٢٦٦
سلام (قصيدة) : للشاعر الأميركي لوففلو	٢٧٢
الدكتور عبد الرحمن شهنيدر — صفاته الفكرية والخلقية وحفلة تأييده	٢٧٣
لعباس محمود العقاد ومنصور جرداق	
صورة ... (قصيدة) : لمسلم بن الوليد	٢٧٩
الغذاء والحياة : لموض جندي	٢٨٠
خاتم العرس (قصة مصرية) : لمحمود خيرت بك	٢٨٨
سير الزمان * ١ — البحر الأحمر وأوصافه الجغرافية والحربية : للصاغ عبد الرحمن زكي	٢٩٣
٢ — عبرة السنة الأولى من الحرب	
حديقة المقتطف * البستاني : للشاعر الفيلسوف طاغور : نقلها محمود كامل حبيب	٣٠٩

باب الاخبار العلمية * الجمعيات العلمية في انكلترا : لقدري حافظ طوقان . عيون ميتة تبصر . الطائرات المنقضة . فائدة ثاني اكسيد الكربون في الحرب . أطول الثدييات عمراً . الذهب الخزون في اميركا . الوقاية من الكزاز . الغذاء في خدمة الحكومة الاميركية	٣٢٥
باب المكتبة * مسند يعقوب بن شيبه في الحديث النبوي . على هامش التاريخ المصري القديم . تراجم اعيان القرن الثالث عشر . ازهار الرياض في اخبار عياض . الكيمياء ومسائل الحياة اليومية . تصحيح خطأ	٣٣٢